افتراءات المنصّرين على القرآن الكريم

أنّه يؤيّد زعم ألوهيّة المسيح عليه السّلام

إعداد

د. علي بن عتيق الحربي

عضو هيئة التدريس

بجامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة

بالمدينة المنوّرة

المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، المنزه عن الصاحبة والولد، القائل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ (آل عمران: ٧). وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبدالله ورسوله ﷺ، وأن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، أما بعد:

فعنوان هذا البحث هو:

افتراءات المنصرين على القرآن الكريم أنه يؤيد زعم ألوهية المسيح عليه السلام

وقد كتب هذا البحث استجابة للدعوة الكريمة التي تلقاها الباحث من قبل الأمين العام لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، رئيس اللجنة التحضيرية لندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" فضيلة أ. د. محمد سالم بن شديد العوفي حفظه الله.

وإن مما دفع الباحث لاختيار هذا الموضوع:

١- المشاركة في الدفاع عن كتاب الله بخاصة والإسلام بعامة.

٢- ما يعتقده الباحث من خطورة مناهج المنصرين في محاربة الإسلام والمسلمين ولا سيما من خلال التهجم على كتاب الله العظيم: القرآن الكريم.

٣- محاولة النصارى تنصير المسلمين وبلبلة اعتقاداتهم من خلال مسلماتهم، وذلك بمحاولة إنزال معتقدات النصارى على بعض ما قد يكون متشابهاً من آي القرآن تلبيساً على المسلمين ومحاولة لإضلالهم كما ضلوا السبيل.

وعلى الرغم من أن الباحث اطلع على بعض الكتابات المتناثرة حول هذا الموضوع والتي تطرقه من جانب أو آخر، إلا أنه لم يعثر على دراسة متكاملة لهذا الموضوع -رغم أهميته- تدرسه تفصيلاً، وترد على ادعاءات المنصرين فيه على نحو مفصل.

ثم إن المنهج المتبع في دراسة هذا الموضوع فيه محاولة للرد على المنصرين من جهتين: إسلامية (من خلال القرآن ومايرتبط بذلك)، ونصرانية (من خلال التوراة والأناجيل) لرد دعوى النصارى على القرآن وفق منهج يبين كذبهم على كتاب الله، ويلزمهم في الوقت نفسه من خلال مسلماتهم بما يدل عليه القرآن المهيمن على ماقبله من الكتب، ولعل في هذا المنهج شيئاً من الجدة.

كما أن من منهج الباحث في اقتباس نصوص كتب العهدين أَخْذَها من النسخة العربية الحديثة المعتمدة "للكتاب المقدس": طبعة العيد المئوي (١٨٨٣-١٩٨٣م)، طبعة دار الكتاب المقدس بمصر.

كما اصطلح الباحث على ما يأتي:

مصطلحات البحث

١- التوراة: أي أسفار العهد القديم الحالية وعددها (٣٩) سفراً إلا إذا أشير إلى غير ذلك.

٢- الإنجيل أو الأناجيل: أي أسفار العهد الجديد الحالية وعددها (٢٧) سفراً إلا إذا أشير إلى غير ذلك.

اصطلاحات أسفار العهد القديم		اصطلاحات أسفار العهد الجديد	
الاصطلاح	المقصود به	الاصطلاح	المقصود به
التكوين	سفر التكوين	متى	إنجيل متى
الخروج	سفر الخروج	مرقس	إنجيل مرقس
التثنية	سفر التثنية	لوقا	إنجيل لوقا
أشعياء	سفر أشعياء	يوحنا	إنجيل يوحنا
حزقيال	سفر حزقيال	رومية	رسالة بولس إلى أهل رومية
مزمور / المزامير	أسفار المزامير	(١) تسالونيكي	رسالة بولس الأولى إلى أهل تسالونيكي
(١) صموئيل	سفر صموئيل الأول	عب	الرسالة إلى العبرانيين
(٢) صموئيل	سفر صموئيل الثاني	(١) يوحنا	رسالة يوحنا الأولى
(١) الملوك	سفر الملوك الأول	(٢) بطرس	الرسالة الثانية لبطرس
(٢) الملوك	سفر الملوك الثاني	رؤيا يوحنا	سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي
نشيد الإنشاد	سفر نشيد الإنشاد		

- وإذا كُتِبَ هكذا: (٢) تسالونيكي (٣: ٥ – ٨ و ١٣).

فإن هذا يعني: الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكي، الإصحاح الثالث الفقرات من الخامسة إلى الثامنة. والفقرة الثالثة عشرة من الإصحاح نفسه.

وختاماً أسأل الله -تعالى- التوفيق والسداد، فماكان صواباً فمن الله -سبحانه وتعالى- وماكان من خطأ فمن نفسي، وأستغفر الله منه ومن جميع ذنبي. والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمهيد

لمحة تاريخية عن المؤلفات التنصيرية التي تفتري على القرآن تأييده بعض معتقدات النصارى الباطلة :

كان بعض أتباع اليهودية والنصرانية في بعض بقاع الجزيرة العربية كالمدينة، وخيبر، ونجران. وما إن تبينت قوة الإسلام والمسلمين في الجزيرة العربية حتى بدأت وفود القبائل العربية تفد إلى رسول الله ﷺ من مختلف أنحاء الجزيرة، وكان من أوائل هذه الوفود وفد نصارى نجران الذين جادلوا رسول الله ﷺ زاعمين أن القرآن يدل على التثليث، وعلى ألوهية عيسى عليه السلام وأنه ابن الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً(١).

وبذلك كانوا أول من سلك هذا الطريق المضل من النصارى في حياة الرسول ﷺ. وقد ذكر ابن هشام: "أن الله -سبحانه وتعالى- أنزل في ذلك من قولهم [أي زعمهم دلالة القرآن على ألوهية عيسى عليه السلام والتثليث وبنوته] واختلاف أمرهم: صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها"(٢).

(١) انظر: ص ١٤ .

(٢) عبد الملك بن هشام: "السيرة النبوية" تحقيق مصطفى السقا وآخرين ج١، ص ٥٧٦.

هذا فيما يتعلق ببداية الافتراء على كتاب الله من النصارى وادعاء أنه يؤيد بعض اعتقاداتهم. أما من حيث كتابة المنصرين والنصارى لذلك في مؤلفاتٍ فإن أقدم ما اطلعت عليه من ذلك يعود إلى أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجري –وهي "رسالة عبدالمسيح بن إسحاق الكندي إلى عبدالله الهاشمي" –كما سيأتي إن شاء الله–، ثم تتابعت بعد ذلك الكتب والرسائل التنصيرية التي زعمت أن كتاب الله يؤيد بعض معتقدات النصارى: كألوهية المسيح عليه السلام، أو بنوته، أو التثليث، أو صلب المسيح، أو أن القرآن يدل على صحة كتب النصارى وأنها ليست محرفة، إلى غير ذلك من مزاعم وافتراءات على كتاب الله أرادوا بها تحقيق أهدافٍ عدة منها:

١– إبعاد النصارى عن الإسلام بزعم أن القرآن يؤيدهم على ما هم فيه من معتقدات باطلة، وأن ما في القرآن موجود في التوراة والإنجيل، فَلِمَ الإسلام ما دام الأمر –في زعمهم– كذلك؟

٢– الطعن في القرآن لبلبلة اعتقادات المسلمين، وإبعادهم عن دينهم، توطئةً لتنصيرهم من خلال القرآن نفسه، بحجة أن ما عليه النصارى ليس باطلاً فضلاً عن أن يكون كفراً، لما زعموه من تأييد القرآن لهم.

ومن المؤلفات النصرانية التي انتهجت الأسلوب الآنف الذكر ما يلي:

١- "رسالة عبدالمسيح إلى الهاشمي يرد بها على الهاشمي ويدعوه إلى النصرانية"[١] وذلك في عصر الخليفة المأمون (١٩٨-٢١٨هـ).

٢- "رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين وجواب القاضي أبي الوليد الباجي عليها"[٢] في عصر الباجي (٤٠٣ - ٤٧٤هـ).

٣- "رسالة حنا مقار العيسوي إلى أبي عبيدة الخزرجي"[٣]، في عصر أبي عبيدة المتوفى سنة (٥٨٢هـ).

٤- "الكتاب المنطيقي الدولة خاني المبرهن عن الاعتقاد الصحيح والرأي المستقيم" لبولص الراهب -أسقف صيدا- الأنطاكي[٤]، في عصر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- المتوفى سنة (٧٢٨هـ).

٥- "مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن" لأحد المنصرين في عهد الشيخ عبدالعزيز آل معمر-رحمه الله- (١٢٠٣ - ١٢٤٤هـ).

---

(١) طبعت هذه الرسالة في مصر سنة ١٨٩٥م، ومعها "رسالة عبد الله بن إسماعيل الهاشمي إلى عبد المسيح بن إسحاق الكندي يدعوه بها إلى الإسلام".

(٢) دراسة وتحقيق: د. محمد عبد الله الشرقاوي، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.

(٣) انظر: "بين الإسلام والمسيحية كتاب أبي عبيدة الخزرجي" تحقيق د/محمد شامة ص ٦٨ - ١٤٦.

(٤) انظر: ابن تيمية "الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح" تحقيق وتعليق د. علي بن حسن ناصر ود. عبد العزيز العسكر ود. حمدان الحمدان، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ج ١/ ص ١٠١، وكتاب بولس الراهب المذكور آنفاً هو السبب -بعد إرادة الله- في تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية لكتابه العظيم: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح.

٦- "الأقاويل القرآنية في كتب المسيحية " لمنصر بروتستانتي في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي.

٧- "ميزان الحق" للقسيس فندر، في القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي.

٨- "الصليب في الإسلام "لحبيب زيات طبع سنة (١٩٣٥م).

٩- "المسيحية في الإسلام" لإبراهيم لوقا. في بدايات القرن العشرين الميلادي.

١٠- "أدلة قرآنية على صحة الديانة النصرانية "لمؤلف مجهول.

١١- "الإنجيل والقرآن"ليوسف درة الحداد.

١٢- "القرآن والكتاب" للمؤلف نفسه، وهو منصر لبناني معاصر.

إن هذه المؤلفات غيضٌ من فيضٍ ، وإلا فإن الكتب والرسائل المشابهة لما سبق بيانه كثيرة ، وإن كان الغالب في العصر الحاضر -فيما يرى الكاتب- كتابة خلاصات مركزة في مطويات صغيرة مستلة من الكتب القديمة والحديثة في هذا المجال؛ مسايرة للعصر، ومحاولةً منهم للهجوم على المسلمين من خلال الافتراء على آيات القرآن الكريم؛ للتأثير فيهم وبلبلة أفكارهم؛ سعياً لتنصيرهم. فضلاً عن استغلال وسائل الاتصال الأكثر حداثة في عرض هذا الأسلوب وبخاصة: الإنترنت.

وفيما يلي سوف نستعرض ادعاءات المنصرين التي زعموا فيها أن القرآن يؤيد ما ادعوه من ألوهية المسيح عليه السلام.

المبحث الأول: عرض ادعاءات المنصرين على القرآن الكريم أنه يؤيد اعتقادهم بألوهية المسيح عليه السلام إجمالاً

الادعاء الأول:

أن ضمائر الجمع التي تكلم الله بها عن نفسه في القرآن تدل على ألوهية المسيح عليه السلام.

الادعاء الثاني:

أن المسيح عليه السلام روح من الله -بجعل (مِنْ) للتبعيض- وكلمته التي تجسدت وصارت إنساناً.

الادعاء الثالث:

أن المعجزات التي أيد الله بها عيسى عليه السلام وذكرت في القرآن تدل على ألوهية عيسى ولا سيما إحياء الموتى.

المبحث الأول: عرض ادعاءات المنصرين على القرآن الكريم أنه يؤيد اعتقادهم بألوهية المسيح عليه السلام تفصيلاً

يزعم بعض النصارى والمنصرين أن القرآن يدل على ألوهية عيسى عليه السلام، ولهم في ذلك حجج واهيةٌ حاولوا التمسك بها ظناً منهم أنها تؤيد ما يعتقدون، والواقع أنهم سعوا لتسويغ اعتقاداتهم من خلال القرآن الكريم وحمَّلوا آيات كتاب الله ما لا تحتمل من المعاني، بل كذبوا على الله وعلى كتابه، وأغمضوا أعينهم عن محكم القرآن، وجنحوا إلى ألفاظ زعموا أنها تمكنهم من الوصول إلى مقاصدهم الفاسدة.

وإذا نظر المرء إلى زعمهم هذا في تأييد القرآن لما ادعوه من ألوهية عيسى عليه السلام يجد أن افتراءهم هذا منبثق من جملة ادعاءات من أهمها ثلاثة:

فالادعاء الأول:

هو أن ضمائر الجمع التي تكلم الله بها عن نفسه في القرآن تدل على ألوهية المسيح عليه السلام؛ لأنها -بزعمهم- تدل على أن الإله ثلاثة أشخاص منهم: المسيح عليه السلام، فقد كان نصارى نجران "يقولون [عن عيسى عليه السلام]: هو الله، ويقولون: هو ولد الله، ويقولون: هو ثالث ثلاثة ويحتجون على أنه ثالث ثلاثة بقول الله: فعلنا، وأمرنا، وخلقنا، وقضينا، فيقولون: لو كان الله واحداً ما قال

إلا: فعلتُ، وقضيتُ وأمرتُ وخلقتُ، ولكنه: هو وعيسى ومريم"[1]، كما احتجوا على الرسول ﷺ بقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ ... ﴾ (الحجر: ٩). "قالوا: وهذا يدل على أنهم ثلاثة"[2].

كذلك ردَّد عبدالمسيح الكندي هذا الزعم حيث يقول -مخاطباً عبدالله الهاشمي-: "وفي كتابك أيضاً شبيه بما ذكرنا من قول موسى، ودانيال عن الله تعالى: فعلنا، وخلقنا، وأمرنا، وأوحينا، وأهلكنا، ودمرنا، مع نظائر لهذه كثيرة"[3] فحجتهم أن الله تكلم عن نفسه في القرآن بصيغة الجمع، ومن ثم زعموا أن ذلك دليل على أن عيسى عليه السلام واحد من الذين تدل عليهم الضمائر المذكورة، وأن هذا الجمع إنما هو ثلاثة، وزعموا بذلك أن القرآن يدل على ألوهية المسيح عليه السلام.

ويقول المنصر فندر: إن "مما لا يصح إغفاله أن القرآن يتفق مع الكتاب المقدس[4] في إسناد الفعل، وضمير المتكلم في صيغة الجمع إلى الله.

---

(١) ابن هشام "السيرة النبوية". ج ١ ص: (٥٧٥).

(٢) انظر: ابن تيمية "الجواب الصحيح" ج ٣، ص: (٤٤٨).

(٣) رسالة عبد المسيح الكندي إلى الهاشمي يرد بها عليه ويدعوه إلى النصرانية، طبعت في مصر سنة ١٨٩٥م، ص ٣٨.

(٤) الكتاب المقدس عند النصارى هو المكون من قسمين: العهد القديم والعهد الجديد، وتبلغ أسفار العهد القديم (أو التوراة): (٣٩) سفراً كما هو عند البروتستانت: و(٤٦) سفراً عند الكاثوليك والأرثوذكس، أما العهد الجديد (أو الأناجيل) فتبلغ أسفاره: (٢٧) سفراً. انظر: علي الحربي: "نصرانية عيسى عليه السلام ونصرانية بولس دراسة مقارنة من أسفار العهد الجديد" بحث ماجستير (١٤٠٧هـ) ص: (٤و٦).

وفي القرآن ما ورد في سورة العلق حيث يقول: ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ وإنما أوردنا ذلك إشعاراً بأننا لا نخطئ إذا اعتبرنا عقيدة التثليث موافقة لإسناد ضمير الجمع إلى الله في القرآن"[1].

أما الادعاء الثاني:

فهو أن المسيح عليه السلام روحٌ من الله بجعل (مِنْ) للتبعيض؛ إذ يرونه إلهاً من إلهٍ، وكلمة الله التي تجسدت -بزعمهم- وصارت إنساناً أي: أن كلمة الله هي عيسى عليه السلام عينه، إلى غير ذلك مما يتعلق بهذا الزعم.

يقول عبدالمسيح الكندي -مخاطباً عبدالله الهاشمي-: "...فافهم كيف أوجب [يقصد الرسول ﷺ وقد كذب عليه في ذلك] أن الله تبارك وتعالى ذو كلمةٍ وروح، وصرَّح بأن المسيح كلمة الله تجسدت وصارت إنساناً"[2].

كما يقول منصر آخر: "إذا أردت أن يتغمدك الله [الخطاب موجه لأبي عبيدة الخزرجي رحمه الله] برحمته، وتفوز بجنته فآمن بالله، وقل: إن المسيح ابن الله الذي هو الله [تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً]... ألم تسمع ما في الكتاب الذي جاء به صاحب شريعتك أنه

(١) نقلاً عن: عبد الرحمن الجزيري: "أدلة اليقين في الرد على كتاب ميزان الحق وغيره من مطاعن المبشرين المسيحيين في الإسلام" الطبعة الأولى (١٣٥٣هـ- ١٩٣٣م) ص (٢١٩).

(٢) "رسالة عبد المسيح إلى الهاشمي يرد بها عليه ويدعوه إلى النصرانية" ص (٤٢).

[أي عيسى عليه السلام] روح الله وكلمته"(١) مسقطاً بذلك اعتقاد النصارى المعروف المنصوص عليه في مستهل إنجيل يوحنا في قوله: "في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله"(٢) . بجعل الكلمة هي عين عيسى، مما يعني أن عيسى هو الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

كما يقول فندر: "توجد بعض الآيات الأخرى التي تعطي له [أي لعيسى] أعظم الألقاب التي لم تعط لغيره فيه [أي في القرآن] البتة، منها: كلمة الله، وهذا اللقب لا يصح أن يسمى به أي مخلوق كان"(٣) . لأنه يرى مثل كثير من النصارى اليوم أن كلمة الله -التي هي عندهم عيسى نفسه- هي الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. اتباعاً للنص الإنجيلي المزعوم السابق.

فالمسيح عليه السلام -كما يزعم الكندي، والعيسوي، وفندر، وغيرهم من النصارى والمنصرين- ليس مخلوقاً وإنما هو إله بل هو الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

والأدهى من ادعائهم هذا -فيما أرى- المناقض للأديان السماوية والفطر السليمة هو البهتان الذي افتروه على الله سبحانه وتعالى بأن كتابه العظيم القرآن الكريم يؤيدهم في كفرهم ووثنيتهم هذه.

---

(١) "بين الإسلام والمسيحية" ص ٧٥، ٧٦.

(٢) يوحنا (١ : ١).

(٣) نقلاً عن الجزيري: "أدلة اليقين" ص (٣٥٩).

أما الادعاء الثالث:

فهو زعمهم أن المعجزات التي أيد الله بها عيسى عليه السلام التي ذكرت في القرآن تدل على ألوهية عيسى عليه السلام ولا سيما إحياء الموتى. وقد كان وفد نصارى نجران الذين وفدوا على الرسول ﷺ "يحتجون في قولهم [عن عيسى بأنه] هو الله: بأنه كان يحيي الموتى، ويبرئ الأسقام، ويخبر بالغيوب، ويخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طائراً"[1] أي بالمعجزات التي أيد الله بها عيسى عليه السلام والتي ذكرت في القرآن.

كما يقول العيسوي مخاطباً أبا عبيدة الخزرجي: "وفي الكتاب الذي جاء به صاحب شريعتك أنه [أي عيسى] أحيا الموتى وكفى بذلك دليلاً على أنه هو الله"[2] . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

كما أن المنصر المشهور فندر زعم أن ما ورد في القرآن من أن عيسى خلق طيراً من الطين إنما هو من صفات الله وحده ذاهباً إلى أن القرآن يؤيد بذلك ألوهية المسيح[3].

ويورد المنصر المعاصر يوسف الحداد قولاً مجملاً عن دلالة القرآن على ألوهية المسيح – بزعمه – وتفرده عن غيره من الأنبياء فضلاً عن سائر البشر فيقول: "إن القرآن يقرر بصورةٍ عامة أن المسيح آيةٌ في حداثته، آية في

---

(١) ابن هشام "السيرة النبوية" ج ١، ص (٥٧٥).

(٢) "بين الإسلام والمسيحية" ، ص (٧٥، ٧٦).

(٣) نقلاً عن عبدالرحمن الجزيري: "أدلة اليقين" ص (٣٦٣).

رسالته، آية في قداسته وكماله، آية في شخصيته، آية في انفراده، وأن هذه الشخصية في القرآن تسمو على جميع الأنبياء، وأن الآيات بمجملها لا يمكن إلا أن تترك في نفس القارئ فكرة عظيمة عن سمو المسيح حتى لتخرج به عن طبقة البشر وتترك الباب مفتوحاً لاعتقاد النصارى بألوهيته"[١] .

هذه من أبرز الادعاءات التي زعم المنصرون قديماً وحديثاً استناداً إليها أن القرآن يؤيد اعتقادهم بألوهية المسيح عليه السلام، وقد بدأت منذ عصر الرسول ﷺ -كما مر آنفاً- على يد نصارى عرب مثل وفد نصارى نجران، ثم تبعهم فيما بعدُ عبدالمسيح الكندي، وغيره.

والمنصرون المعاصرون -تبعاً لذلك وتطويراً له- وصلوا إلى مرحلة خطيرة من التلبيس في عرض بهتانهم هذا وماشابهه على المسلمين، ولا سيما غير المتقنين للعربية. ثم إن هذا الأسلوب أسلوب فكري (هجومي) يخاطب عقل المسلم، ويرمي إلى التأثير فيه من خلال مسلماته لزلزلة اعتقاده وإيمانه بربه سبحانه وتعالى، ومحاولة الوصول به في مرحلةٍ تاليةٍ إلى تنصيره، إن لم يكن من المرحلة الأولى.

ولخطورة هذا الأسلوب وما يتطلبه -فيما يرى الباحث- من مقدمات عامة يُستند إليها في الرد المفصل لاحقاً، رُئي نقد هذه الادعاءات التي افتراها المنصرون على كتاب الله -سبحانه وتعالى- في المبحثين الآتيين على نحوٍ مجملٍ أولاً، ثم على نحوٍ مفصل -إن شاء الله تعالى- ثانياً.

---

(١) نقلاً عن محمد عزة دروزة: "القرآن والمبشرون" الطبعة الثانية (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م)، ص (٣٩٩).

المبحث الثاني: رد إجمالي على ما سبق من ادعاءات المنصرين على القرآن الكريم

هناك أدلة عامة ومجملة تفند ادعاءات المنصرين بأن القرآن يؤيد مازعموه من ألوهية عيسى عليه السلام سواء من خلال القرآن نفسه أو من خلال التوراة أو الإنجيل.

وقد رُتبت هذه الأدلة في الموضوعات الآتية:

أولاً: وحدانية الله من خلال القرآن وكتب العهدين.

ثانياً: نفي الألوهية عن عيسى عليه السلام من خلال القرآن والأناجيل.

ثالثاً: بشرية عيسى عليه السلام وعبوديته من خلال القرآن والأناجيل.

رابعاً: نبوة عيسى عليه السلام ورسالته من خلال القرآن والأناجيل.

والآن وقت الشروع في تفصيل هذه الموضوعات:

أولاً: وحدانية الله[1] من خلال القرآن وكتب العهدين:

أنزل الله -سبحانه وتعالى- التوراة على رسوله موسى عليه السلام، وأنزل الإنجيل على رسوله عيسى عليه السلام، ثم دخلهما التحريف بعد ذلك. وعلى الرغم من هذا إلا أن الموجود منهما اليوم فيه ما يدل دلالة واضحة على وحدانية الله -سبحانه وتعالى- وأنه لا يشاركه في ألوهيته أحدٌ لا نبي مرسل ولا ملك مقرَّب، فهما في هذه الجزئية -المصطلح عليها في هذا البحث- يوافقان القرآن الكريم.

وفيما يلي عرض لهذه الوحدانية في القرآن أولاً ثم في التوراة والإنجيل:

أ- وحدانية الله -سبحانه وتعالى- من خلال القرآن الكريم:

إن النصوص الدالة على وحدانية الله في القرآن الكريم كثيرة جداً، بل إن القرآن كله ناطق بتوحيد الله -جل جلاله- حق التوحيد، ولكن لاكتمال الرد على المنصرين ولبيان أنهم ينتقون من القرآن ما يزعمون

---

(١) المقصود بالوحدانية -في هذا البحث- ما يقابل التثليث، أي أن الله سبحانه وتعالى واحدٌ أحدٌ ليس معه إلهٌ غيره فضلاً عن آلهة أخرى، كما أنه ليس ثالث ثلاثة كما يزعم النصارى، وليس المقصود بذلك وحدانية الله في أسمائه وصفاته وعبادته وربوبيته؛ ذلك أن اليهود -كما هو معلوم- في باب الصفات مجسمة، والنصارى مجسدة، والمسلمون السائرون على منهج السلف الصالح -رضوان الله عليهم- من الصحابة ومن تبعهم بإحسانٍ يؤمنون بما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تكييف. فالجزئية التي سوف يُستدل عليها من التوراة أو الأناجيل هي هذه الوحدانية المصطلح عليها آنفاً فقط.

أنه يؤيدهم، وأنه يُمْكِنُ لهم صرفه إلى مرادهم الذي يوافق أهواءهم، ويتركون المحكم الواضح الذي يرد عليهم افتراءاتهم؛ آثرت الاكتفاء ببعض الآيات ولا سيما التي تبين التوحيد بأكثر من طريق، وبخاصة تلك الآيات التي ترد على النصارى مبينةً التوحيد ونافية الشريكَ عن الله -سبحانه وتعالى- أو ألوهية غيره، أو كونه ثالث ثلاثة، أو أن له ولداً أو اتخذ صاحبة إلى غير ذلك من الآيات المحكمات التي تبين حقيقة التوحيد صافياً من أدران الشرك والتثليث والبنوة وغيرها. فمن ذلك:

١- يقول الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ (الإخلاص). فهذه السورة الكريمة نص في أن الله واحدٌ أحد، وأنه لم يلد ولم يولد، فليس له ابن لا عيسى عليه السلام ولا غيره، ولا يشاركه في وحدانيته أحد.

٢- ويقول تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ (النحل: ٥١)، فهنا نهى الله -سبحانه وتعالى- عن اتخاذ إلهين، وأبان سبحانه على الحصر: إنما هو إله واحد لا إله غيره.

٣- ويقول تعالى: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام: ١٩).

٤- وقال جل وعلا: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٢).

٥- وقال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ (التوبة: ٣١).

٦- ويقول تعالى: ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ﴾ (الإسراء: ٤٢).

٧- ويقول تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۢ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (المؤمنون: ٩١).

٨- ويقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾ (النساء: ١٧١).

٩- وقال تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (المائدة: ٧٣).

١٠- وقال عز وجل: ﴿ ... وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾ (التوبة: ٣٠).

هذه الآيات غيض من فيضٍ، ذلك أن القرآن الكريم مليء بأدلة وحدانية الله -سبحانه وتعالى- وتوحيده حق التوحيد -كما هو معلوم- لكن منهج النصارى والمنصرين التلبيس والتضليل.

ب- وحدانية الله -سبحانه وتعالى- من خلال التوراة:

تدل التوراة الحالية على وحدانية الله سبحانه وتعالى -وفق ماإصطُلح عليه سابقاً[١]- بوضوح؛ ولذا فإن هذه الوحدانية من العقائد الأساسية لليهودية التي تخالف فيها النصرانية الحالية مخالفةً جذرية وتتفق فيها مع الإسلام على سبيل الإجمال.

وإن من نصوص التوراة التي تدل على وحدانية الله -سبحانه وتعالى- وأنه الله الذي لا إله غيره مايلي:

١- جاء في التوراة قوله: "اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحدٌ فتحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل قوتك ... الرب إلهك تتقي، وإياه تعبد، وباسمه تحلف، لا تسيروا وراء آلهةٍ أخرى من آلهة الأمم التي حولكم"[٢].

٢- وجاء فيها: "أنا الرب وليس آخر، لا إله سواي ... لكي يعلموا من مشرق الشمس ومن مغربها أن ليس غيري أنا الرب وليس آخر"[٣].

٣- وجاء فيها: "أليس أنا الرب، ولا إله آخر غيري، إلهٌ بار ومخلص ليس سواي"[٤].

---

(١) انظر: ص (٢١).

(٢) التثنية: (٤ : ٦-١٤).

(٣) أشعياء: (٤٥ : ٥، ٦).

(٤) أشعياء: (٤٥ : ٢١).

٤- وجاء فيها: "إنك قد أُريت لتعلم أن الرب هو الإله ليس آخر سواه... فاعلم اليوم وردد في قلبك أن الرب هو الإله في السماء فوق وعلى الأرض من أسفل ليس سواه"[١].

٥- وجاء فيها "أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية لا يكن لك آلهة أخرى أمامي"[٢].

فهذه نصوص واضحة في الدلالة على وحدانية الله -سبحانه وتعالى- من خلال التوراة وهي بذلك تتفق مع ماجاء في القرآن الكريم، ولذا تتفق اليهودية مع الإسلام في هذه العقيدة -على نحو عام- بينما تشذُّ النصرانية الحالية عن هذين الدينين السماويين وتضاهي الذين كفروا من قبل حيث تعتقد بالتثليث بكل مايستلزمه ذلك من ألوهية لعبدالله ورسوله عيسى بن مريم عليه السلام ومن بنوته لله، -تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً- إلى غير ذلك من أمور شركية.

ج- وحدانية الله -سبحانه وتعالى- من خلال الأناجيل:

على الرغم مما يعتقده النصارى من تثليث وما دخل الأناجيل من تحريف، إلا أن في الأناجيل الحالية من الأقوال المنسوبة لعيسى عليه السلام ما يدل دلالة واضحة على وحدانية الله -سبحانه وتعالى- فمن ذلك:

---

(١) التثنية: (٤ : ٣٥ - ٣٩).

(٢) التثنية: (٥ : ٦، ٧)، وانظر النص نفسه مكرراً في الخروج: (٢٠ : ٢، ٣).

١- جاء في الإنجيل قوله: "فأجابه يسوع[1] [أي عيسى]: إن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد وتحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك، ومن كل قدرتك، هذه هي الوصية الأولى، وثانية مثلها... ليس وصية أخرى أعظم من هاتين فقال له الكاتب جيداً يامعلم بالحق قلت لأنه الله واحد وليس آخر سواه"[2].

٢- وجاء فيها قوله: "وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، وأن يسوع المسيح الذي أرسلته"[3] ففي هذا النص بيان واضح أن الله هو الإله الحق وحده -سبحانه وتعالى- فلا إله غيره، كما أن النص أبان أن عيسى عليه السلام هو الرسول الذي أرسله الله آنذاك.

ولذا يذكر عبد الأحد داود أن هذا النص يشبه قولنا: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله[4]. وهو كما قال، بل إن هذا النص وحده كافٍ في بيان وحدانية الله -سبحانه وتعالى- من الأناجيل، وأن عيسى عبد الله ورسوله.

---

(١) يسوع: هي الصيغة اليونانية للاسم العبري (يشوع)، [انظر حنا الله جرجس ووهيب مالك: القاموس الموجز للكتاب المقدس: ج (٢)، ص (٧٤٣)] والمقصود به عيسى عليه السلام.

(٢) مرقس: (١٢ : ٢٨ - ٣٤) وانظر: متى (٢ : ٣٥ - ٣٩).

(٣) يوحنا (١٧ : ٣).

(٤) انظر: عبد الأحد داود: "الإنجيل والصليب" تعريب مسلم عراقي، (القاهرة، ١٣٥٠هـ) ص (١٥٩).

٣- وجاء في الأناجيل -كما زعموا- أن الشيطان طلب من عيسى أن يسجد له، فقال له عيسى: "اذهب ياشيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد"(١). وهذا إيضاح من المسيح عليه السلام -إن كان النص صحيحاً- يرد به على الشيطان أنه لا يسجد إلا لله وحده ولا يعبد إلا إياه. وهذا موضح لوحدانية الله -سبحانه وتعالى- في ربوبيته وفي عبادته، وموضح لعبودية عيسى وبشريته ﷺ مناف لألوهيته.

٤- وجاء فيها قوله: "أنا قد أتيت باسم أبي ولستم تقبلونني... كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجداً بعضكم من بعض، والمجد الذي من الإله الواحد لستم تطلبونه"(٢).

٥- وجاء فيها قوله: "... قولي لهم: إني أصعد إلى أبي، وأبيكم، وإلهي وإلهكم"(٣) فعيسى عليه السلام يصرح أن الله -سبحانه وتعالى- كما أنه إله للحواريين وبني إسرائيل وغيرهم، فهو أيضاً إلهٌ له عليه السلام، فالله واحد أحد لا إله سواه، وعيسى عبد مربوب لله مثله مثل غيره من الأنبياء والمرسلين يوحد الله -سبحانه وتعالى- كما يجب.

---

(١) متى: (٤ : ١٠).

(٢) يوحنا: (٥ : ٤٣، ٤٤).

(٣) يوحنا: (٢٠ : ١٧).

٦- وجاء فيها قوله: "... لماذا تدعونني صالحاً ؟ ليس أحدٌ صالحاً إلا واحد هو الله"[1]. وهذا يوضح أن عيسى عليه السلام ليس له حظ في الألوهية وليس شريكاً لله، وإنما الله -سبحانه وتعالى- واحد أحد؛ لذا أفرد عيسى عليه السلام هنا الله -جل وعلا- وحده بالصلاح ونفاه عن نفسه، والله أعلم بالمقصود بذلك إن كان النص صحيحاً.

إن هذه النصوص تدل على وحدانية الله -سبحانه وتعالى- في الأناجيل الحالية، فهو واحد أحد لا إله غيره -عز وجل- وعيسى ليس بإله، وإنما إلهه هو الله سبحانه وتعالى، إله عيسى وإله غيره.

ثانياً: نفي الألوهية عن عيسى عليه السلام من خلال القرآن والأناجيل:

إن الآيات التي مرت سابقاً[2] والتي تبين وحدانية الله سبحانه وتعالى من خلال القرآن هي نفسها نافية بمفاهيمها ولوازمها لألوهية المسيح عليه السلام وبعضها بمنطوقها، وكذا ما جاء في التوراة والأناجيل حول وحدانية الله. إلا أن النصارى كثيراً ما يجادلون بالباطل ويتعسفون الأدلة ويؤولونها وفق أهوائهم، ولذا يود الباحث دحض افتراء أن القرآن دال على ألوهية المسيح من خلال طريق آخر سوى ما سبق ألا وهو آيات من القرآن ناطقة بنفي الألوهية عن عيسى نطقاً صريحاً، وكذا من خلال الأناجيل لإلزام النصارى والمنصرين من خلال مسلماتهم وما يؤمنون به إن كانوا يعقلون، وذلك كما يأتي:

(١) لوقا: (١٨ : ١٩) وانظر: متى (١٩ : ١٧).

(٢) انظر: ص (٢٢، ٢٣).

أ- نفي الألوهية عن عيسى من خلال القرآن:

جاءت في القرآن آياتٌ محكمات متعددة تنفي الألوهية عن المسيح عليه السلام منها:

١- قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ... ﴾ (المائدة: ١٧)، وانظر (٧٢).

٢- وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ (المائدة: ١١٦). فهذا عبد الله ورسوله إلى بني إسرائيل يكذب النصارى في دعوى تأليههم له، وينزه الله -سبحانه وتعالى- عن أن يقول قولاً لا ينبغي له أن يقوله وهو أنه دعا النصارى إلى تأليهه.

٣- وقوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (التوبة: ٣١).

٤- وقوله: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (المائدة: ٧٣)، وانظر (النساء: ١٧١)، فالله واحدٌ أحدٌ ليس معه إله غيره، وهذا تهديد وتحذير من الله للنصارى عن القول بالتثليث وتأليه أحدٍ معه ومن أول ذلك تأليه المسيح عليه السلام؛ لأن الخطاب للنصارى.

٥- وقوله تعالى: ﴿ ... وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾ (التوبة: ٣٠)، فقد شابهوا من كان يقول إن للآلهة أبناء من وثنيي اليونان والرومان وغيرهم من الوثنيين[١].

٦- وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (مريم: ٣٤، ٣٥).

٧- وقوله: ﴿ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾ (المائدة: ٧٥).

يقول ابن تيمية -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿ ... كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ... ﴾: "وهذا من أظهر الصفات النافية للإلهية؛ لحاجة الآكل إلى ما يدخل في جوفه ولما يخرج منه مع ذلك من الفضلات"[٢].

ب- نفي الألوهية عن عيسى عليه السلام من خلال الأناجيل:

يقوم هذا الموضوع على ما نسب لعيسى عليه السلام من أقوال يُثْبت فيها صفاتٍ وأسماء لله نفاها هو عن نفسه عليه السلام فإضافة

---

(١) انظر حول هذا الموضوع: محمد طاهر التنير: "العقائد الوثنية في الديانة النصرانية" (١٣٣٠هـ) ص (٢٠، ٢١)؛ وأحمد شلبي: "المسيحية"، ط (٧) القاهرة مكتبة النهضة المصرية (١٩٨٣م)، ص (١٣٠). ومحمد عصفور: "معالم حضارات الشرق الأدنى القديم" (لبنان: دار النهضة العربية (١٩٨١م) ص (٢١٦).

(٢) ابن تيمية، "الجواب الصحيح" ج ٢، ص (١٧١).

إلى كل عوارض البشرية التي طرأت على المسيح وتطرأ عليه -مما سوف يمر[1]- والدالة على الحدوث والتغير من حالٍ إلى حال، وأنه لا يختلف في شيء عن غيره من الرسل إلا ما اختصه الله به، إضافة إلى ذلك جاء في الأناجيل:

١- قوله: "فقال [أي عيسى] لها [لأم ابني زبدي] ماذا تريدين؟ قالت له: قل، أن يجلس ابناي هذان، واحد عن يمينك والآخر عن اليسار في ملكوتك. فأجاب يسوع وقال: لستما تعلمان ما تطلبان... أما الجلوس عن يميني وعن يساري فليس لي أن أعطيه إلا للذين أعد لهم من أبي"[2].

٢- وقوله: "فأجاب يسوع وقال لهم: الحق أقول لكم لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلا ما ينظر الآب يعمل"[3]. وقال: "ليس كل من يقول يارب يدخل ملكوت السموات بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات"[4].

ففي النصوص السابقة نفى عيسى عليه السلام القدرة على إدخال من شاء ملكوت الله، وأبان أنه لايدخل ملكوت الله إلا من أراد الله وحده له ذلك، وليس ذلك للمسيح؛ لأن مشيئة المسيح تحت مشيئة

---

(١) انظر ص (٣٧).

(٢) متى (٢٠ : ٢١ - ٢٣).

(٣) يوحنا (٥ : ١٩).

(٤) متى (٧ : ٢١).

الله، وقدرته تحت قدرة الله كما في النص -الآنف الذكر- حيث يقول: "لا يقدر الابن [المسيح] أن يعمل من نفسه شيئاً إلا ما ينظر الآب [الله] يعمل" فالله وحده -سبحانه- هو القادر على كل شيء قدرة تليق بجلاله وعظمته. وقد جاء في نص آخر "... لأنه ليس شيء غير ممكن لدى الله"(1) وكذا القول المنسوب إلى المسيح عليه السلام نفسه "عند الناس غير مستطاع، ولكن ليس عند الله لأن كل شيء مستطاع عند الله"(2).

أما قدرة المسيح فهي قدرة محدودة تناسب مقامه، وليس له إلا ما أقدره الله عليه. ومشيئة المسيح تحت مشيئة الله وبإذن الله كما قال المسيح -فيما نسب إليه-: "... يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت"(3) وكل هذا يستلزم نفي الألوهية عن المسيح عليه السلام.

٣- نسب إلى عيسى في الإنجيل قوله: "لا يقدر أحد أن يُقبل إلي إن لم يجتذبه الأب الذي أرسلني"(4).

فهنا الاجتذاب أو الهداية هداية توفيق خاصة بالله سبحانه وتعالى وليس للمسيح أن يهدي أحداً إلا أن يشاء الله له الهداية.

(١) لوقا (١ : ٣٧).

(٢) مرقس (١٠ : ٢٧).

(٣) متى (٢٦ : ٣٩).

(٤) يوحنا (٦ : ٤٤).

٤- نُسب إلى عيسى قوله: "وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الأب"[١] وفي نص آخر عن الموضوع نفسه: "إلا أبي وحده"[٢] وهذه النصوص في سياق إخباره لبني إسرائيل عن تهدم الهيكل[٣]. فعيسى -هنا- يخبر النصارى بأمر مستقبلي -وإن صح النقل عنه فهو بإعلام الله له- وعلى الرغم من هذا حينما سُئل عن وقت التهدم نفى علمه بوقت ذلك، وأخبر أنه لا أحد يعلم ذلك لا الملائكة ولا هو عليه السلام، وإنما الذي يعلم ذلك هو عَلاَّم الغيوب وحده، وهو الله سبحانه وتعالى، وليس للمسيح من علم الغيب شيء إلا ما أطلعه الله عليه.

٥- وجاء في نص آخر: "وفي الغد لما خرجوا من بيت عينا جاع فنظر شجرة تينٍ من بعيد عليها ورق وجاء لعله يجد فيها شيئاً. فلما جاء إليها لم يجد شيئاً إلا ورقاً لأنه لم يكن وقت التين"[٤] فسبحان الله هذا النص ظاهر جلي في بشرية عيسى عليه السلام ونفي لألوهيته من وجوه منها:

- أنه لا يعلم من الغيب إلا ما أطلعه الله عليه، فلو كان إلهاً -تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً- لما كلف نفسه مشقة الذهاب إلى الشجرة الخالية من أثمار التين.

---

(١) مرقس (١٣ : ٣٢).

(٢) متى (٢٤ : ٣٦).

(٣) انظر: متى الإصحاح الرابع والعشرين كاملاً.

(٤) مرقس (١١ : ١٢ - ١٤).

- ثم لو كان إلهاً لعلم أن هذا ليس وقت إثمار أشجار التين، فهل يجهل الإله أمراً كهذا؟.

- ثم لو كان إلهاً لأمر الشجرة أن تنبت تيناً فأنبتت.

- ثم هل الإله يجوع؟ إن هذا نقص في إلههم المزعوم، أما الله الإله الحق فهو الغني جل وعلا.

٦- يُنسب إلى عيسى قوله: "... لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون لأنني قلت أمضي إلى الأب لأن أبي أعظم مني"[١] فعيسى يصرح أن الآب [الله] أعظم منه فهناك فارق كبير عبَّر عنه بأفعل التفضيل بينه وبين ربه وخالقه سبحانه وتعالى. وإذا كان عيسى قد نطق بأن الله أعظم منه فإن هذا وفق مفهوم المخالفة، يعني أن عيسى أقل من الله، وهو مايوضح أنه ليس هو الله، ولا ابن الله كما تزعم النصارى حيث يقولون إنه ابن الله الذي هو: "الله في المسيح[٢]" تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

٧- يُنسب إلى عيسى قوله: "وإن سمع أحد كلامي ولم يؤمن فأنا لا أدينه [أحاكمه وأحاسبه] لأني لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم من رذلتي فله من يدينه"[٣] إذاً يوضح عيسى أن مالك الحساب

(١) يوحنا (١٤ : ٢٨).

(٢) جوجيا هاركنس "بماذا يؤمن المسيحيون" ترجمة إسحق مسعد (القاهرة دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية) ص (٦٩).

(٣) يوحنا (١٢ : ٤٧).

والجزاء إنما هو غيره، فعيسى لا يملك هذا وإنما الذي يملكه هو الله سبحانه وتعالى وحده كما يوضحه السياق بعده[١]، وكما يوضحه قوله السابق "أبي أعظم مني" وهذا -أيضاً- نفي لألوهية عيسى عليه السلام.

٨- قال عيسى: "... اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم: إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم"[٢] فيُسَمي المؤمنين به (إخوتي) ثم يقول: "أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم" فمثله مثل المؤمنين به، ربه الله، وإلهه الله -سبحانه وتعالى- وهذا اعتراف بألوهية الله، وفي الوقت نفسه نفي قوي على لسانه لألوهيته المفتراة على الله -سبحانه وتعالى- ثم عليه، ثم كيف يكون هو إله نفسه؟.

٩- جاء في الإنجيل أن "الله لم يره أحد قط"[٣] وقول المسيح عن الله سبحانه وتعالى: "لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتم هيئته"[٤] بينما أبصروا المسيح وسمعوا صوته، وكلَّمهم وكلَّموه، بل وأكل وشرب معهم وتفل على التراب، فعجن الطين وطلى به أعين عُمْيٍ، إلى غير ذلك مما سوف يمر[٥] من دلائل بشريته. وهذا كله ينفي الألوهية عن المسيح عليه السلام.

---

(١) يوحنا (١٢ : ٤٨).

(٢) يوحنا (٢٠ : ١٧).

(٣) يوحنا (١ : ١٨).

(٤) يوحنا (٥ : ٣٧).

(٥) انظر ص (٣٧).

١٠- كثرت النصوص الإنجيلية التي توضح أن عيسى كان يدعو الله -سبحانه وتعالى- ويسجد له، ويخضع له، ويصوم له، حتى بلغ صيامه أربعين نهاراً وأربعين ليلة[١]. وأنه يفعل مايرضي الله -سبحانه- ويحفظ أقواله[٢]. فلمن يتوجه عيسى عليه السلام بهذه العبادات؟ أيعبد عيسى نفسه؟ أم هل يدعو نفسه؟ أم هل يصوم لنفسه؟ هل العابد هو عين المعبود؟ إن هذا محال عقلي، مثبت لعدم ألوهية عيسى -عليه الصلاة والسلام- وأن الإله هو غير عيسى، وهو الذي يتوجه له عيسى بأنواع العبادات: إنه الله -سبحانه وتعالى- وحده.

---

(١) انظر متى (٤ : ١ - ٣).

(٢) يوحنا (٨ : ٥٥).

ثالثاً: بشرية عيسى عليه السلام وعبوديته من خلال القرآن والأناجيل:

ينقسم هذا الموضوع إلى الفقرتين التاليتين:

أ- بشرية عيسى عليه السلام وعبوديته من خلال القرآن:

أخبر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم أن عيسى عليه السلام عبد من عبيد الله كما قال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ . . .﴾ (النساء: ١٧٢) وكما قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ (مريم: ٣٠). يقول ابن كثير: "أول شيء تكلم به أن نزّه جناب ربه تعالى وبرأه عن الولد، وأثبت لنفسه العبودية لربه"[1].

وقد جاء في آيات أخرى قوله: ﴿. . . أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ . . .﴾ (المائدة: ١١٧). وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ (مريم: ٣٦) فهو إنسان مخلوق خلقه الله سبحانه وتعالى كما خلق آدم من تراب قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (آل عمران: ٥٩). وكما قال تعالى -على لسان مريم-: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (آل عمران: ٤٧).

---

(١) إسماعيل بن كثير القرشي تفسير القرآن العظيم دار المعرفة بيروت -لبنان- (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ج ٢، ص (١١٩).

فعيسى عليه السلام ولد لمريم، خلقه الله ووهبه لها، كما قال تعالى: ﴿ ... لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا ﴾ (مـريم: ١٩). فـهـو ولد لمريم مـخلوق وليس بإله ولا ابن إله، فنسبه بشري عائد إلى أمه فهو في القرآن الكريم: المسيح عيسى بن مريم بنت عمران من بني إسرائيل ومن ذرية إبراهيم[١] ومن ذرية نوح[٢] وقد حملت[٣] به والدته كما أراد الرحمن -سبحانه وتعالى- من أم بلا أب، ووضعته بعد مخاض[٤] وجاءت به قومها تحمله[٥] ﴿ ... فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ (مريم: ٢٩)، وكان يأكل الطعام هو وأمه كما قال تعالى: ﴿ ... كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ... ﴾ (المائدة: ٧٥). بكل ما يعنيه ذلك من حاجة للطعام ولإخراجه والنمو والتحول من حال إلى حال، وهو كما خلق من تراب بعد أن لم يكن شيئاً وولد بعد أن كان جنيناً واكتهل بعد أن كان صبياً، فسوف يموت بعد نزوله في آخر الزمان[٦]، ثم يبعث حياً كما قال تعالى على لسان عيسى: ﴿ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ (مـريم: ٣٣). فـهـو

---

(١) انظر سورة الأنعام: ٨٤.

(٢) انظر سورة الحديد: ٢٦.

(٣) انظر سورة مريم: ٢٢.

(٤) انظر سورة مريم: ٢٢.

(٥) انظر سورة مريم: ٢٧.

(٦) انظر جلال الدين السيوطي "نزول عيسى ابن مريم آخر الزمان" دراسة وتحقيق، محمد عبدالقادر عطا ط ١، دارة الكتب العلمية - بيروت، ص (٦١ - ٨٦) وانظر: محمد أنور شاه الكشميري: "التصريح بما تواتر في نزول المسيح" تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ط ٣، مكتب المطبوعات الإسلامية ودار الفرقان - بيروت ص ٩١ فما بعد.

إنسان يطرأ عليه ما يطرأ على أمثاله من البشر من عوارض. وهو عبد من عباد الله. خلقه الله سبحانه وتعالى من أم بلا أب آية للعالمين ومثلاً لبني إسرائيل. كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ (المؤمنون: ٥٠).

وكما قال تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (الزخرف: ٥٩) كما أوصاه الله سبحانه بعبادته ما دام حياً، كما قال تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿ ... وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ (مريم: ٣١) فمحكم القرآن يدل على أن عيسى عليه الصلاة والسلام إنسان مخلوق خلقه الله سبحانه وتعالى كما شاء واقتضته حكمته، وهو عبد من عباد الله الذين أنعم الله عليهم، ولن يستنكفوا عن عبادته سبحانه وتعالى.

ب- بشرية عيسى عليه السلام وعبوديته من خلال الأناجيل:

تدل الأناجيل الحالية على بشرية عيسى عليه السلام وعبوديته دلالة بينة؛ حيث جاء في بعضها فيما ينسب إلى عيسى عليه السلام قوله: "... ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله"[1]. فعيسى عليه السلام وضع نفسه في الموضع اللائق به، وهو أنه إنسان رسول يدعوهم ويبلغهم بما أوحاه الله إليه. وكفى بذلك دليلاً على بشريته وعبوديته، وأنه ليس بإله حيث أثبت

(١) يوحنا (٨: ٣٩ - ٤٠).

بشريته وأثبت لنفسه العبودية والخضوع لمن أرسله وهو الله -سبحانه وتعالى- إلهه وإله بني إسرائيل والخلق أجمعين، كما جاء فيما نسب إليه قوله: "إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم"[١] وقوله: "اذهب ياشيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد"[٢] .

وفي الأناجيل ما يدل على عبادة عيسى عليه السلام وطاعته لله سبحانه وتعالى حيث صام[٣] وخَرَّ على وجهه وكان يصلي قائلاً: "يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت"[٤] .

كما أنه "خرج إلى الجبل ليصلي وقضى الليل كله في الصلاة لله"[٥] . وسبحان الله قضى الليل كله يصلي لخالقه، وإلهه، وربه، فأنى يكون إلهاً، أو يكون هو الله -تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً-؟ أنى يكون العابد هو عين المعبود؟ ولا سيما أنه كان "يصلي بأشد لجاجة"[٦] لله سبحانه وتعالى، بل جاء -فيما نسب إليه- في الأناجيل أنه قال: "... لم يتركني الآب وحدي لأني في كل حين أفعل ما يرضيه"[٧] فهو مجتهد في عبادة ربه -سبحانه وتعالى- خاضع له ومطيع له في كل وقت وحين.

---

(١) يوحنا (٢٠ : ١٧).

(٢) متى (٤ : ٩، ١٠).

(٣) متى (١٤ : ٣).

(٤) متى (٢٦ : ٣٩).

(٥) لوقا (٦ : ١٢).

(٦) لوقا (٢٢ : ٤٤).

(٧) يوحنا (٨ : ٢٩).

ثم إن نظرة معاصري عيسى عليه السلام له لم تكن إلا على أنه إنسان وليس بإله. من ذلك قوله: "أجاب الخدام: لم يتكلم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان. فأجابهم الفريسيون: ألعلكم أنتم أيضاً قد ضللتم... ألعل ناموسنا يدين إنساناً لم يسمع منه أولاً"[1]. وفي نص آخر: "فقالوا له: كيف انفتحت عيناك [لرجل أعمى أبصر بإذن الله على يد عيسى] أجاب ذاك وقال: إنسان يقال له يسوع..."[2].

كما أن نسب عيسى عليه السلام وفق الأناجيل أنه: المسيح عيسى ابن مريم[3]، من نسل داود ومن ذرية إبراهيم[4] -عليهم الصلاة والسلام- خلقه الله من أم بلا أب[5] بقدرته، كما خاطب جبريل مريم -عليهما السلام- حيث قال لها: "لأنه ليس شيء غير ممكن لدى الله"[6] حينما تعجبت واستفهمت من جبريل "كيف يكون هذا [أي الحمل بعيسى وولادته] وأنا لست أعرف رجلاً"[7]. فأمه مريم وتزعم

---

(١) يوحنا (٧ : ٤٦ - ٥٣).

(٢) يوحنا (٩ : ١٠، ١١) وانظر يوحنا (٩ : ١٦) ويوحنا (٩ : ٢٤، ٢٥).

(٣) انظر لوقا (١ : ٢٦ - ٣٧).

(٤) متى (١ : ١) وانظر كونه من نسل داود متى (١٢ : ٢٣) ولوقا (١ : ٣٢) ويوحنا (٧ : ٤٢).

(٥) انظر لوقا (١ : ٢٦ - ٣٧).

(٦) لوقا (١ : ٣٧).

(٧) لوقا (١ : ٣٦).

الأناجيل أن له إخوة وأخوات ممن ادعت أنه زوج أمه[1] وهو يوسف النجار[2] ونسيبة أمه -كما جاء في الأناجيل هي أليصابات أم يحيى عليه السلام[3] وهي من بنات هارون وبذلك يحيى وزكريا من قرابة عيسى[4].

كذلك من أدلة بشرية عيسى عليه السلام كما جاء في الأناجيل: أن أمه حملت به عدة الحمل كاملة، ثم ولدته بعد أن لم يكن شيئاً[5]، وختن بعد أن كان أغلف[6]،

---

(١) ذكرت الأناجيل أن مريم بعد ولادة عيسى تزوجت من يوسف النجار الذي كانت مخطوبة له قبل الحمل بعيسى إلا أن الله يقول -على لسان أم مريم-: ﴿ ... رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ... ﴾ [آل عمران: ٣٥] والمحرر كما نقل الألوسي: "من لا يعمل للدنيا ولا يتزوج ويتفرغ لعمل الآخرة ويعبد الله تعالى ويكون في خدمة الكنيسة، قاله ابن عباس رضي الله عنهما" [محمود الألوسي: "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني إدارة الطباعة المنيرية، ج ١ (٣) ص ١٣٣] وعلى هذا يكون زعم زواج مريم -عليها السلام- زعماً غير صحيح والله أعلم.

(٢) متى (١٣ : ٥٤ - ٥٦).

(٣) لوقا (١ : ٣٦).

(٤) في السنة الصحيحة أن عيسى ويحيى -عليهما السلام- ابنا خالة. انظر: محمد بن إسماعيل البخاري "صحيح أبي عبدالله البخاري" تحقيق وتعليق: محمود النواوي وآخرين ط (٢) (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) مكتبة النهضة الحديثة (مكة) ومكتبة الرياض الحديثة (الرياض) مجلد (٢) كتاب (٥٤) باب (٤٣) حديث (١٠٥) ج (٢) ص ١٣٠، ومسلم كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات ج (١) ص (١٤٥) حديث رقم (٢٥٩).

(٥) متى (٢ : ١ -٦) ولوقا (٢ : ٤ - ٧) وانظر لوقا (١ : ٢٦ - ٣٧).

(٦) لوقا (٢ : ٢١).

واكتهل بعد أن كان صبياً[1]، وتعلم القراءة والكتابة. وكتب بإصبعه على الأرض[2]، وجاع[3]، وطعم[4]، بل أكل الفصح مع حواريه[5]، كما شرب الماء[6]، ومشى فتعب وتصبب عرقاً حتى بلغ عرقه الأرض[7] ثم جلس من التعب[8]، وامتطى الجحش[9]، وتفل على الأرض، وصنع من التفل طيناً، وطلى بالطين عيني الأعمى[10]، وحزن واكتأب ثم بكى[11]. وكان يجثو على ركبتيه[12]، ويخر على وجهه[13] إلى الأرض ساجداً لله سبحانه وتعالى، إلى غير ذلك مما جاء في الأناجيل.

---

(١) انظر لوقا (٣ : ٢٣).

(٢) يوحنا (٨ : ٦ و٩).

(٣) انظر متى (٤ : ٢) ومتى (١١ : ١٢).

(٤) انظر متى (٢٦ : ١٧ – ٢٥) ومرقس (١٤ : ١).

(٥) انظر مرقس (١٤ : ١٢ – ١٨).

(٦) انظر يوحنا (٤ : ٧ – ١٠).

(٧) انظر لوقا (٢٢ : ٤٤).

(٨) انظر متى (٥ : ١) و (١٣ : ١ – ٢) ويوحنا (٤ : ٦).

(٩) انظر متى (٢١ : ٧) ومرقس (١١ : ٧) ولوقا (١٩ : ٣٥ – ٣٦).

(١٠) مرقس (٧ : ٣٣) ويوحنا (٩ : ٦).

(١١) متى (٢٦ : ٣٧) ومرقس (١٤ : ٣٣، ٣٤).

(١٢) متى (٢٦ : ٣٩).

(١٣) لوقا (٢٢ : ٤١).

كما أن من الأمور التي تُجَلِّي عبودية عيسى عليه السلام وبشريته سوى ما ذكر هنا ماأثبته عيسى عليه السلام من أسماء وصفات لله وحده نافياً إياها عن نفسه عليه السلام مثل: أن الله هو القادر وحده، وأنه هو الهادي وحده، وأنه هو علام الغيوب، وأنه العظيم ومالك يوم الدين، وأنه لايُرى في الدنيا إلى آخر ما مر[1] مما نفاه المسيح عن نفسه وأثبته لله وحده.

لذا ولغيره ذكر أبو الوليد الباجي –رداً على راهب من فرنسا– أن عيسى عليه السلام: "بشر مخلوق وعبد مربوب لا يعدو عن دلائل الحدوث من... التغير من حال إلى حال وأكل الطعام والموت الذي كُتب على جميع الأنام... ولو جوزنا كونه عليه السلام مع هذه الصفات والأحوال المحدثات إلهاً قديماً لنفينا أن يكون العالم أو شيء مما فيه محدثاً مخلوقاً لأنه ليس في شيء مما ذكرنا من البشر والعالم وما فيه من الحيوان والجماد من دلائل الحدوث غير ما في عيسى عليه السلام"[2] .

إن ما سبق مثبت لبشرية عيسى عليه السلام وعبوديته، فماذا عن نبوة عيسى عليه السلام ورسالته؟ هذا ما سوف يُدرس تالياً.

---

(١) انظر ص (٣٠–٣٥).

(٢) "رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين وجواب القاضي أبي الوليد الباجي عليها" ص (٥٩، ٦٠).

رابعاً: نبوة عيسى عليه السلام ورسالته من خلال القرآن والأناجيل:

ينقسم هذا الموضوع إلى فقرتين:

أ- نبوته ورسالته عليه السلام من خلال القرآن:

يوضح القرآن أن المسيح عيسى عليه السلام نبي رسول، وهو من أولي العزم من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين[1].

وهذه بعض الآيات الدالة على رسالة عيسى ونبوته:

يقول تعالى: ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ... ﴾ (المائدة: ٧٥). ويقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ ... ﴾ (النساء: ١٧١). ويقول تعالى على لسان عيسى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ... ﴾ (آل عمران: ٤٩). كما يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ... ﴾ (الصف: ٦). ويقول تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴾ (مريم: ٣٠).

فعيسى نبي رسول من رسل الله، وظيفته طاعة الله وإبلاغ رسالة ربه -سبحانه وتعالى- التي أرسله بها وأمره بإبلاغها، وحث بني إسرائيل على عبادة الله كما قال تعالى عن عيسى: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٧٢.

﴿ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (المائدة: ١١٧). وكما قال تعالى عن عيسى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ (آل عمران: ٥١).

ب- نبوته ورسالته عليه السلام من خلال الأناجيل:

كذلك تدل الأناجيل الموجودة اليوم على نبوة عيسى ورسالته فقد جاء في الأناجيل نصوص عدة منها:

١- أما يسوع فقال لهم: "ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه وفي بيته"[١] فهذا مما ينسب إليه من أقوال يشير بها إلى نفسه.

٢- ومما يوضح نظرة بعض المدعوين من بني إسرائيل له وأنه نبي قوله: "ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم، وإذ كانوا يطلبون أن يمسكوه خافوا من الجموع لأنه كان عندهم مثل نبي"[٢].

٣- وقوله: "ولما دخل أورشليم ارتجَّتْ المدينة كلها قائلة مَنْ هذا؟ فقالت الجموع: هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل"[٣].

٤- مر بنا قول عيسى عليه السلام: "وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع الذي أرسلته"[٤].

---

(١) متى (١٣ : ٥٧) ولوقا (٤ : ٢٤) و(١٣ : ٣٣).

(٢) متى (٢١ : ٤٥).

(٣) متى (١١ : ٢١) وانظر سوى مامر يوحنا (٦ : ١٤) و(٧ : ٤٠) و(٩ : ١٧) ولوقا (٧ : ١٩) ومرقس (٦ : ١٥) ويوحنا (٩ : ١٧).

(٤) انظر ص (٢٦).

٥- وقوله: "فنادى يسوع وهو يُعَلِّمُ في الهيكل قائلاً: تعرفونني وتعرفون من أين أنا ومن نفسي لم آت بل الذي أرسلني هو حق الذي أنتم لستم تعرفونه، أنا أعرفه لأني منه وهو أرسلني"(١) .

فهذا من أقواله التي يوضح فيها أنه رسول من رسل الله.

إن ما سبق من نصوص تدل على نبوة عيسى عليه السلام ورسالته من خلال الأناجيل، على أن هناك نصوصاً أخرى تضيف إلى ما سبق بيان مهمة عيسى عليه السلام ووظيفته التي أرسله الله من أجلها، ألا وهي الدعوة إلى الله وإلى عبادته وطاعته وإبلاغ ما أمره الله أن يبلغه لبني إسرائيل من دين الله الذي أنزل على يديه آنذاك وهو النصرانية الصحيحة الموحدة التي نسخها الله بالإسلام ولذا يسمى عيسى في الأناجيل معلم(٢). وهي وظيفة الرسل حيث يعلمون الناس الخير ويبلغونهم دين الله سبحانه وتعالى.

وإن من النصوص الدالة على ذلك:

١- قول الإنجيل: "وبعدما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز [يدعو] ببشارة ملكوت الله ويقول: قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل"(٣) فهاهو عيسى يدعو بني إسرائيل إلى التوبة والإنابة إلى الله سبحانه وتعالى والإيمان بالإنجيل كتاب الله الذي أنزله عليه.

---

(١) يوحنا (٧ : ٢٨، ٢٩) و(١٦، ١٧) و(٨ : ٤٢، ٢٩، ٢٦، ١٨، ١٦) و(١٧ : ٨ و٢٥).

(٢) انظر متى (٨ : ١٩) و(٩ : ١١) و(١٢ : ٣٨) ومرقس (٥ : ٣٥) و(٩ : ٣٨) و(١٠ : ٣٥) ولوقا (٨ : ٤٩) وغيرها كثير.

(٣) مرقس (١ : ١٤، ١٥).

٢- قوله: "فقال لهم: إنه ينبغي لي أن أبشر المدن الأخر أيضاً بملكوت الله؛ لأني لهذا قد أرسلت، فكان يكرز في مجامع الجليل"[١].

٣- قوله: "فقال لهم: لنذهب إلى القرى المجاورة لأكرز هناك أيضاً لأني لهذا خرجت"[٢].

٤- وجاء في الإنجيل قوله: "كان يسوع يطوف كل الجليل يعلم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت"[٣].

٥- كما جاء قوله: "حينئذٍ ابتدأ يوبخ المدن التي صنعت فيها أكثر قواته [المعجزات التي أظهر الله على يديه] لأنها لم تتب: ويلٌ لك يا كورزين، ويل لك يا بيت صيدا... وأنت يا كفرنا حوم"[٤].

٦- جاء قوله: "... ينبغي أن أعمل أعمال الذي أرسلني مادام نهار، يأتي ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل"[٥].

٧- قوله: "... لأني لم أتكلم من نفسي، لكن الأب الذي أرسلني هو أعطاني وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم؟ وأنا أعلم أن وصيته هي حياة أبدية فما أتكلم أنا به فكما قال لي الأب هكذا أتكلم"[٦]. يصدِّق هذا

---

(١) لوقا (٤ : ٤٣، ٤٤).

(٢) مرقس (١ : ٣٨).

(٣) متى (٤ : ٢٣ - ٢٥).

(٤) متى (١١ : ٢٠ - ٢٣).

(٥) يوحنا (٩ : ٤) وانظر يوحنا (٤ : ٣١).

(٦) يوحنا (١٢ : ٤٩، ٥٠) وانظر يوحنا (٤ : ٣١) و (٨ : ٢٦و٢٨) ويوحنا (١٧ : ٧، ٨).

ما جاء في القرآن على لسان عيسى: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ ... ﴾ (المائدة: ١١٧).

فعيسى -عليه الصلاة والسلام- كما تدل عليه الأناجيل نبي رسول جاء لإبلاغ بني إسرائيل رسالة ربه ليتوبوا من معاصيهم وآثامهم ويتبعوا كتاب الله الذي أنزله الله عليهم آنذاك على يد عيسى وهو الإنجيل.

هذه ردود مجملة، وسوف نتكلم فيما يأتي على الردود المفصلة.

المبحث الثالث: رد تفصيلي على ما سبق من ادعاءات المنصرين على القرآن الكريم

سبق ذِكْرُ ادعاءات ثلاثة[1] يعرضها النصارى والمنصرون على أنها أدلة لهم، يستندون إِليها في زعمهم أن القرآن يؤيد ألوهية المسيح عليه السلام. وفي هذا المبحث سوف تُدرس هذه الادعاءات ويُرد عليها على نحو مفصل كما يأتي:

المطلب الأول: الرد على ادعاء المنصرين أن ضمائر الجمع التي تكلم الله بها عن نفسه في القرآن تدل على ألوهية المسيح.

المطلب الثاني: الرد على ادعاء المنصرين أن المسيح روح من الله -بجعل من للتبعيض- وكلمته التي تجسدت وصارت إِنساناً.

المطلب الثالث: الرد على ادعاء المنصرين أن المعجزات التي أيد الله بها عيسى، والتي ذُكرت في القرآن، ولاسيما إِحياء الموتى، دليل على ألوهية المسيح.

وهذا أوان دراسة هذه الادعاءات والرد عليها تفصيلاً:

---

(١) انظر ص (١٣).

المطلب الأول: الرد على ادعاء المنصرين أن ضمائر الجمع التي تكلم الله بها عن نفسه في القرآن تدل على ألوهية المسيح:

يزعم النصارى والمنصرون أن ضمائر الجمع التي تكلم الله بها عن نفسه في القرآن مثل: إنَّا، ونحن، ونا الفاعلين، وضمائر المتكلمين المستترة وجوباً... إلخ تدل على ثلاثة آلهة أحدهم المسيح عليه السلام الذي يسعون لإثبات ألوهيته من خلال آيات القرآن. وادعاؤهم هذا قال به نصارى نجران -كما مر[1]- ويقول به غيرهم من المنصرين إلى اليوم.

وضمائر الجمع الآنفة الذكر إما أن تكون دالة من حيث اللغة على الظاهر وهو الجمع، أو دالة على غيره وهو المفرد أو المثنى:

ففي الحالة الأولى وهي: دلالة ضمائر الجمع على ظاهرها (الجمع) فإن هناك أموراً عدة منها:

١- ما حدُّ الجمع حينئذ؟ إن حد الجمع لغةً: ثلاثة فما زاد، أو اثنان فما زاد[2].

فإن كان أقل الجمع اثنين فإنه لا حجة للنصارى والمنصرين ألبتة في ظاهر ضمائر الجمع حينئذ، ويكون ذلك هادماً لادعائهم من أركانه.

(١) انظر ص (١٤).

(٢) انظر عباس حسن: "النحو الوافي" الطبعة الخامسة، دار المعارف بمصر، ج (١) ص (١١٩ و١٣٧).

وإذا كان أقل الجمع ثلاثة فإن ظاهر الضمائر حينئذ يدل على الثلاثة فما زاد أي: ثلاثة أو أربعة، أو خمسة، أو ألف، أو ألف ألف... إلخ. فما المسوغ الذي حصر الجمع في الثلاثة فقط؟ إنه لا يوجد مسوغ واحد في القرآن قد يوحي ولو من بعيد بأن ضمائر الجمع المذكورة آنفاً يمكن أن تدل حصراً على الثلاثة ولا يمكن أن يوجد ذلك في القرآن؛ لأن مما يبطل احتمال وجود هذا ويجتثه من جذوره: الآيات المحكمات الواضحات الكثيرة، الدالة على وحدانية الله ونفي الشريك معه -سبحانه وتعالى- بعامة، ونفي ألوهية المسيح وبنوته بخاصة، فليس لدى النصارى أي مسوغ من خلال القرآن لدعواهم هذه، وإنما هي معتقداتهم النصرانية أرادوا إنزالها على آي القرآن الكريم تعسفاً ومغالطة.

وخلو دعواهم من الدليل أو المسوغ الذي يحصر الضمائر في ثلاثة يفتح الباب عليهم، فلو ادعى مُدَّع أنها كما تدل على التثليث تدل على التربيع أو التخميس أو التسديس... إلخ، وهو ظاهر الجمع، لما استطاعوا دفع ذلك على نحو مقبول؛ مما يبطل دعواهم ومزاعمهم في حصر دلالة الجمع على الثلاثة فقط. وحينئذ تتساوى الدلالات والاحتمالات مع عدم وجود مرجح أو قرينة تؤيد هذا دون ذاك، فتكون ضمائر الجمع الآنفة الذكر حينئذ قابلة لما سبق ذكره من التثليث أو التسبيع... إلخ، فيبطل وجه استشهادهم بضمائر الجمع على ألوهية المسيح فيما لو قلنا على سبيل الفرض إنها على ظاهرها، وهو الجمع.

٢ - لنفترض جدلاً أن ضمائر الجمع تدل على الثلاثة حصراً فما طبيعة هذا الجمع حينئذ؟ وما كنهه؟ وما معنى ذلك؟.

لو قال قائل: نحن فعلنا كذا وكذا. أليست الدلالة اللغوية حينئذ -بعد افتراضنا حصر الجمع في الثلاثة- هي أن هؤلاء الجماعة (الثلاثة) الذين يدل عليهم الضمير (نحن) هم ثلاث ذوات: المتكلم ومعه اثنان آخران غيره: أليسوا هم فلاناً بكل ما له من هيئة وخلقة، وصفات وشخصية... إلخ، وفلاناً بكل ما له من طول، وعرض، وصفات وملامح تختلف عن الأول... إلخ، وفلاناً الثالث المختلف في ذاته وملامحه... إلخ، عن الاثنين السابقين، مما يجعل الضمير يدل على ثلاث ذوات منفصل بعضها عن بعض؛ لذا يقول عبدالرحمن الجزيري: "لنفرض أن ذلك الضمير للجماعة بخصوصها فإنما يدل على جماعةٍ متعددةٍ متباينةٍ كما إذا قال شخص: قمنا أو قعدنا وكان معه غيره فإنه لا يفهم منه لغة إلا أن المتكلم معه زيد وعمرو وهما غيره، فمن أين يأتي هذا الاتحاد والتركيب المزجي؟"(١).

كما يقول ابن تيمية: "وقوله: «إنا نحن» لفظ يقع في جميع اللغات على من كان له شركاء وأمثال وعلى الواحد"(٢). ولذلك إن كان الضمير -فرضاً- دالاً على الثلاثة فإنه يعني -كما مر- ثلاث ذوات مختلفة إحداهن عن الأخريين. وهذا أمر يرفضه النصارى

---

(١) الجزيري: "أدلة اليقين" ص (٢٢٠، ٢٢١).

(٢) ابن تيمية: "الجواب الصحيح" ج ٣، ص (٤٤٨).

أنفسهم؛ إذ يتناقض مع ما يعتقدونه من أن إلههم ذات واحدة وليس ثلاث ذوات، وتفصيل اعتقادهم -كما هو معروف- ثلاثة أقانيم في ذات واحدة في مصادمة للعقل والمنطق لا يقبلها سليم عقل ألبتة، بينما ضمائر الجمع تدل على ثلاث ذوات متغايرة، وذلك بعد افتراضنا الحصر على الثلاثة.

وعليه ليس للنصارى مُتمسَّك في ضمائر الجمع إن دلت على ظاهرها؛ لأنها سوف تدل على اثنين فأكثر دون وجود مسوغٍ يحصر الدلالة في الثلاثة، وهذا كما مر آنفاً مسقط لدعواهم.

فإن حصرت فرضاً في ثلاثة دلت على ثلاث ذوات متباينة ومتغايرة، وهو كسابقه مسقط لدعواهم في محاولة إثبات التثليث من خلال الضمائر الآنفة الذكر، ومن ثم محاولة إثبات ألوهية عيسى عليه السلام من خلال القرآن الكريم؛ لأنه يدل على ثلاث ذوات متباينة.

فكيف إذا كانت هناك مسوغات بل آيات محكمة وحجج وبراهين قاطعة من القرآن والتوراة والأناجيل تجعل ضمائر الجمع -الآنفة الذكر- تدل بداهة على خروجها عن ظاهرها إلى ما يخالف الظاهر فتدل حينئذ على وحدانية الله -سبحانه وتعالى- وأنه لا شريك له وأنه واحدٌ أحدٌ صمدٌ لم يلد ولم يولد، وأن عيسى عبد الله ورسوله، بشرٌ مخلوق من تراب مثله كمثل آدم -عليهما السلام- وليس إلهاً ولا ابن إله، وأنه سوف يموت... إلخ.

إن ذلك وحده كافٍ في إيضاح وجهة دلالة ضمائر الجمع الآنفة الذكر وأنها تدل على الوحدانية ليس إلا . فكيف إذا انضاف إلى ذلك أن من الأساليب العربية الفصيحة الشائعة في اللغة استخدام ضمائر الجمع للدلالة على غير الجمع ولا سيما المفرد؟ وهذا ما يدعو إلى دراسة الحالة الثانية تفصيلاً . وهي :

خروج ضمائر الجمع عن الظاهر (الجمع) إلى غيره ولا سيما المفرد :

وهنا موضوعان :

الأول : ما يقوله بعض علماء اللغة عن هذا الأسلوب والشواهد اللغوية المستخرجة من القرآن الكريم، والشعر الجاهلي .

الآخر : النصوص اللغوية التوراتية والإنجيلية في الموضوع نفسه .

أما عن الموضوع الأول فهناك نقاط عدة منها :

١ـ أن هذا أسلوب سائغ لغة يقول ابن قتيبة : "ومنه [أي من خروج ضمير الجمع عن ظاهره إلى ما يخالف الظاهر] أن يخاطب الواحد بلفظ الجمع كقوله سبحانه ﴿ ... قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴾ (المؤمنون : ٩٩) . وأكثر من يخاطب بهذا الملوك لأن مذاهبهم أن يقولوا : نحن فعلنا يقوله الواحد منهم يعني نفسه فخوطبوا بمثل ألفاظهم"[١] .

---

(١) عبدالله بن مسلم ابن قتيبة "تأويل مشكل القرآن" شرح السيد أحمد صقر الطبعة الثالثة (١٤٠١هـ / ١٩٨١م) ص ٢٩٣ .

كما يقول ابن فارس -رحمه الله-: "ومن سنن العرب مخاطبة الواحد بلفظ الجمع فيقال للرجل العظيم: انظروا في أمري وكان بعض أصحابنا يقول: إنما يقال هذا لأن الرجل العظيم يقول: نحن فعلنا، فعلى هذا الابتداء خوطبوا في الجواب"(١) . فهل هناك من هو أعظم من مالك الملك وأولى منه بمثل هذا الأسلوب؟.

يقول ابن تيمية -رحمه الله-: "إن ضمير الجمع يقع على من كان له شركاء وأمثال، وعلى الواحد المطاع العظيم الذي له أعوان يطيعونه وإن لم يكونوا شركاء ولا نظراء، والله تعالى خلق كل ما سواه فيمتنع أن يكون له شريك أو مثيل والملائكة وسائر العالمين جنوده تعالى... فإذا كان الواحد من الملوك يقول: إنا ونحن ولا يريدون أنهم ثلاثة ملوك فمالك الملك رب العالمين، ورب كل شيء ومليكه هو أحق بأن يقول: إنا ونحن مع أنه ليس له شريك، ولا مثيل بل له جنود السموات والأرض"(٢) .

٢- اللغة العربية مليئة بالشواهد على خروج ضمائر الجمع عن ظاهرها للدلالة على المفرد ومن ذلك ما في الشعر الجاهلي:

يقول امرؤ القيس -حين رأى قبر امرأة في سفح جبل عسيب الذي مات عنده-:

---

(١) أحمد بن فارس: "الصاحبي" تحقيق السيد أحمد صقر مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ص (٣٥٣).

(٢) ابن تيمية: "الجواب الصحيح" ج ٣ ص (٤٤٨).

أجارتنا إن الخطوب تنوب ... وإِني مقيم ما أقام عسيب

أجارتنا إنّا غريبان ههنا ... وكل غريب للغريب نسيب

فإن تَصلِينا فالقرابة بيننا ... وإِن تَصْرمينا فالغريب غريب

أجارتنا ما فات ليس يؤوب ... وما هو آتٍ في الزمان قريب[1]

ويقول عمرو بن كلثوم متغزلاً:

قفي قبل التفرق ياظعينا ... نُخَبِّرْك اليقين وتُخْبرينا

قفي نسألْك هل أحدثتِ صَرْما ... لوَشْك البين أم خنت الأمينا[2]

ويقول زهير بن أبي سلمى مخاطباً هرم بن سنان والحارث بن عوف:

سألنا فأعطيتم وعُدْنا فعدتُمُ ... ومَنْ أكثر التَّسْآل يوماً سيحرمِ[3]

ويقول الحارث بن حلِّزة متغزلاً:

آذَنتنا ببَيْنِها أسماء ... رب ثاوٍ يُمَلُّ منه الثَّواء[4]

---

(١) "ديوان امرئ القيس" دار بيروت للطباعة والنشر (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) ص (٧٩).

(٢) الحسين بن أحمد الزوزني "شرح المعلقات العشر" طبعة (١٩٨٣م) دار مكتبة الحياة، بيروت ص (٢٠٢).

(٣) المرجع السابق ص (١٥٥).

(٤) المرجع السابق ص (٢٦٣).

ويقول الجميح منقذ بن الطماح في زوجته:

أمست أمامة صمتاً ما تكلمنا مجنونة أم أحسَّتْ أهل خَرُّوبي

فإن تقري بنا عيناً وتختفضي فينا وتنتظري كرِّي وتغريبي[1]

فضمائر المتكلمين في: **أجارتنا، وتصلينا، وتصرمينا، ونخبرك، وتخبرينا، ونسألك، وسألنا، وعدنا، وآذنتنا**، كلها ضمائر جمع للمتكلمين قصد بها الواحد كما هو واضح من السياق.

٣- من الشواهد اللغوية في القرآن التي استخدمت فيها ضمائر الجمع للدلالة على غير الجمع مع أن الضمائر فيها تعود إلى غير الله سبحانه وتعالى ما يأتي:

قوله تعالى: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَـٰهِدِينَ ﴾ (الأنبياء: ٧٨). وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ (فصلت: ١١). فالضمير في قوله: ﴿ لِحُكْمِهِمْ ﴾ ضمير جمع يدل على المثنى وليس على الثلاثة فأكثر ولا على الواحد، وكذلك ياء الجماعة في قوله: ﴿ طَآئِعِينَ ﴾ ومثل ذلك قوله: ﴿ أَتَيْنَا ﴾. هذه بعض أمثلة استخدام ضمائر الجمع للدلالة على المثنى.

أما استخدام ضمائر الجمع في القرآن للدلالة على المفرد فمن شواهدها:

---

(١) المفضل بن محمد الضبي: "المفضليات" تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، وعبدالسلام هارون، الطبعة السابعة، دار المعارف بمصر، ص (٣٤، ٣٥).

قوله تعالى عن الخضر: ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ (الكهف: ٨٠، ٨١).

وقال تعالى: ﴿ ... قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ (الكهف: ٨٦ - ٨٨). وقال تعالى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾ (النمل: ١٦).

فالضمائر في: ﴿ فَخَشِينَآ ﴾، ﴿ فَأَرَدْنَآ ﴾، ﴿ نُعَذِّبُهُۥ ﴾، ﴿ وَسَنَقُولُ ﴾، ﴿ أَمْرِنَا ﴾، ﴿ عُلِّمْنَا ﴾، ﴿ وَأُوتِينَا ﴾ ضمائر جمع تدل على واحد وليس على اثنين أو ثلاثة أو أكثر.

٤- من العجيب أن عبد المسيح الكندي نفسه استخدم ضمير الجمع للدلالة على المفرد على نفسه هو في عرض شبهته نفسها حيث قال: "... وشبيه بما ذكرنا..."[١]. وهذا في رسالته كثير فهل هو ثالث ثلاثة؟. وهكذا القسيس فندر حيث قال: "وإنما أوردنا ذلك إشعاراً بأننا لا نخطئ"[٢]. إن هذا دليل على أن هذا الأسلوب شائع مستخدم بكثرة ولا سيما في الكتب وعند الكتّاب، ويجري في سليقة العرب وسنن العربية قديماً وحديثاً، وليس فيه أدنى غرابة أو شبهة لكن النصارى قوم مُلبسون.

---

(١) انظر ص (١٥).

(٢) انظر ص (١٦).

أما الموضوع الآخر:

فهو نصوص لغوية من خلال التوراة والأناجيل تدل على المفرد أو المثنى وهي في صورة الجمع:

أولاً: شواهد توراتية: وهي إما أن تدل على المفرد أو على المثنى:

أ- شواهد تدل على المفرد منها:

١- جاء في سفر التكوين: "وقال الله: **نعمل** الإنسان على **صورتنا**"[١].

٢- وجاء فيه: "وقال الرب الإله: هو ذا الإنسان قد صار كواحدٍ **منا**"[٢].

٣- وجاء فيه: "هلم **ننزل ونبلبل** هناك لسانهم"[٣].

فهذه ضمائر جمع تدل على المفرد. وعلى الرغم من أن النصارى قد يحرفونها كما حاولوا ذلك في القرآن إلا أن مما يوضح دلالتها على المفرد النصوص التوراتية التي تدل على الوحدانية -كما مر سابقاً[٤]- كما يؤيد ذلك أن اليهود الذين نزلت التوراة بلغتهم على مختلف عصورهم وتعدد أنبيائهم ما فهموا من ضمائر الجمع هذه إلا دلالتها على المفرد؛ إذ إن ذلك هو معتقد الدين اليهودي كما هو معروف.

---

(١) التكوين (١ : ٢٦).

(٢) التكوين (٣ : ٢٢).

(٣) التكوين (١١ : ٧).

(٤) انظر ص (٢٤).

٤- جاء في نشيد الإنشاد "ارجعي ارجعي ياشولميت ارجعي ارجعي فننظر إليك"[١] .

وسياق هذا النص تشبيب من حبيب بمحبوبته ودلالة هذا النص على الواحد واضحة جداً؛ إذ يقوله محب بزعمهم في محبوبته، وسياق هذا السفر كله غزلي .

ب - شواهد تدل على المثنى :

جاء في العهد القديم قوله : " تعال ياحبيبي **لنخرج** إلى الحقل **ولنبث** في القرى، **لنبكرن** إلى الكروم **لننظر** هل أزهر الكرم"[٢] .

وقوله : "اجذبني وراءك **فنجري**"[٣] فهذه ضمائر جمع أريد بها المثنى كما هو واضح من السياق .

ثانياً : شواهد إنجيلية :

من الشواهد الإنجيلية لاستخدام ضمائر المتكلمين التي تدل على الفرد، قول بولس : "كما هو مكتوب أحببت يعقوب وأبغضت عيسو **فماذا نقول** ألعل عند الله ظلماً حاشا"[٤]. ويقول أيضاً : "إذاً **نحسب** أن الإنسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس . . . **أفنبطل** الناموس بالإيمان حاشا بل نثبت الناموس"[٥] . ويقول أيضاً : "**فماذا نقول** إن

---

(١) نشيد الإنشاد (٦ : ١٣).

(٢) نشيد الإنشاد (٧ : ١١).

(٣) نشيد الإنشاد (١ : ٤).

(٤) رومية (٩ : ١٣، ١٤).

(٥) رومية (٣ : ٢٨ - ٣١).

أبانا إبراهيم قد وجد حسب الجسد"[1] . ويقول: "**فماذا نقول** إن الأمم الذين لم يسعوا في أثر البر أدركوا البر الذي بالإيمان"[2] . بل قال بولس: "لذلك **أردنا** أن **نأتي** إليكم أنا بولس مرة ومرتين، وإنما **عاقنا** الشيطان"[3] .

فقوله: (**فماذا نقول**) و(**نحسب**) و(**أفنبطل**) و(**نثبت**) و(**أردنا**) و(**نأتي**) و(**عاقنا**) تشتمل على ضمائر جمع مستترة وجوباً أو ضمائر ظاهرة أسندت إلى أفعال، وهي تدل على مفرد هو بولس وحده، وليس ثلاثة هو ثالثهم.

وهكذا نرى أن من الأساليب المعهودة في اللغة العربية التي نزل بها القرآن وترجمت إليها التوراة والإنجيل استخدام ضمائر الجمع للدلالة على المثنى أو على المفرد فقط، وقد استخدمت لتعود إلى غير الله، مما يبين فساد دعوى النصارى والمنصرين في أن ضمائر الجمع المسندة لله سبحانه وتعالى في القرآن تدل على ألوهية عيسى عليه السلام بزعم دلالتها على التثليث، وإنما هو أسلوب من أساليب التعظيم، أولى به الخالق سبحانه وتعالى من كل مخلوق، واستخدامه جرى على لسان العرب كثيراً حتى النصارى -كما مَرَّ- وهو إلى اليوم معهود غير مستغرب، سواء في مخاطبات الملوك أو غيرهم.

---

(١) المصدر نفسه (٤ : ١).

(٢) المصدر نفسه (٩ : ٣٠).

(٣) (١) تسالونيكي (٢ : ١٨).

المطلب الثاني: الرد على ادعاء المنصرين أن المسيح روح من الله- بجعل مِنْ للتبعيض- وكلمة الله التي تجسدت وصارت إنساناً:

يزعم المنصرون أن (الكلمة) هي عيسى -عليه السلام- وادعاؤهم هذا نابع من إسقاط اعتقاداتهم ومعانيهم الباطلة على الآيات التالية أو بعضها:

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾ (النساء: ١٧١). وقوله تعالى: ﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا﴾ (مريم: ١٧). وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ٩١). وقوله تعالى: ﴿ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴾ (التحريم: ١٢). وقوله تعالى: ﴿ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (آل عمران: ٣٩). وقوله تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴾ (آل عمران: ٤٥).

وادعاءات المنصرين هنا تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: ما يتعلق بكون عيسى كلمة الله أوكلمة من الله.

والقسم الثاني: ما يتعلق بكون عيسى روحاً من الله أو روح الله.

أما القسم الأول ففيه نقاط عدة:

أ - زعم الكندي أن القرآن "صرح بأن المسيح كلمة الله تجسدت وصارت إنساناً"[1]. فهو يشير إلى معتقد النصارى المعروف، وهو أن عيسى هو الكلمة والكلمة هي الله، فعيسى هو الله -تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً- وهذا صريح في إنجيل يوحنا كما مر سابقاً[2].

ونِسبة هذا الكفر إلى القرآن بهتان عظيم وكذب صريح على القرآن المحفوظ كما أنزل، فليأت النصارى بنص يدل على هذا المعنى الباطل. إنما الذي في القرآن ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (آل عمران: ٥٩)

فمن الواضح أن عيسى مخلوق ليس هو الكلمة (كن) وإنما بها كان وسمي بكلمة الله لأنه بها خُلق وليس له أب، وسوف يمر بنا هذا تفصيلاً[3].

ب - آية سورة النساء -السابق ذكرها (آية ١٧١)- تكفي وحدها للرد على ادعاءات النصارى واستنتاجاتهم المزعومة من خلال قوله تعالى: ﴿... وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ ...﴾ (النساء: ١٧١) أو ﴿... بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ...﴾ (آل عمران: ٤٥) أو ما يشاكل ذلك من الآيات.

---

(١) انظر ص (١٦).

(٢) انظر ص (١٧).

(٣) انظر ص (٦٦).

فالآية تدل على أمور منها :

١- نهي النصارى عن الغلو في دينهم، وتحذيرهم بأن لا يقولوا على الله -سبحانه وتعالى- إلا الحق، ومن أول ذلك : عدم الغلو في المسيح، فهو ليس إلا رسول الله -سبحانه وتعالى- وعبداً من عبيده.

٢- نسبت الآية عيسى نسباً بشرياً بيناً إلى أمه مريم بنت عمران عليهما السلام.

٣- حذر الله النصارى عن أن يقولوا بالتثليث ومنه إدخال عيسى واحداً من الثلاثة المزعومين بوصفه أنه إله منهم.

٤- أوضحت الآية على سبيل الحصر أن الله -سبحانه وتعالى- ليس إلا إلهاً واحداً منزهاً عن أن يكون له ولد، وهذا يردٌّ على ادعائهم أن عيسى ابن الله.

٥- هذه الآية حجة برهانية قاطعة تثبت بلغة الأرقام أن الله واحدٌ أحدٌ وحدانية لا يشوبها أدنى احتمال للشراكة معه، وذلك من خلال نفيها للثلاثة والتثليث وإثباتها في الوقت نفسه أن الله واحد أحد صمد لم يلد ولم يولد، وليس واحداً في ثلاثة أو ثلاثة في واحد، مع تحذير النصارى عن القول بالتثليث وتوعدهم على القول به.

٦- أبانت الآية أن عيسى عليه السلام كلمة الله ألقاها إلى مريم، فما المقصود بأنه كلمة الله؟ أو كلمة منه؟.

يقول الإمام أحمد -رحمه الله-: "المعنى في قوله جل ثناؤه: ﴿... إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ ...﴾ (النساء: ١٧١). فالكلمة التي ألقاها إلى مريم: حين قال له كن، فكان عيسى بكن وليس عيسى هو كن، ولكن بكن كان. فالكن من الله قول، وليس الكن مخلوقاً. وكذب النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى... وقلنا نحن إن عيسى بالكلمة كان، وليس عيسى هو الكلمة"[1].

ويقول أبو عبيد القاسم بن سلام: "وأما المسيح فالمراد أن الله خلقه بكلمة لا أنه هو الكلمة لقوله: ﴿... أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ ...﴾ (النساء: ١٧١) ولم يقل ألقاه، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾"[2] (آل عمران: ٥٩). وكذلك قال شاذان بن يحيى: "ليس الكلمة صارت عيسى، ولكن بالكلمة صار عيسى"[3].

---

(١) الإمام أحمد بن محمد بن حنبل: "الرد على الجهمية والزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله" ويليه "كتاب السنة" صححه وعلق عليه إسماعيل الأنصاري، نشر وتوزيع: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ص (٤٣).

(٢) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: "فتح الباري بشرح صحيح البخاري" تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز وآخرين، دار المعرفة بيروت. ج (١٣)، ص (٤٩٨).

(٣) تفسير ابن كثير ج (١)، ص (٥٩٠).

كما يقول ابن كثير في قوله تعالى: ﴿ ... إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ... ﴾ (النساء: ١٧١)، "أي: إنما هو عبد من عباد الله وخلق من خلقه قال له كن فكان، ورسول من رسله وكلمته ألقاها إلى مريم، أي: خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل عليه السلام إلى مريم، فنفخ فيها من روحه بإذن ربه عز وجل، وكانت تلك النفخة التي نفخها في جيب درعها، فنزلت حتى ولجت فرجها بمنزلة لقاح الأب الأم، والجميع مخلوق لله عز وجل، ولهذا قيل لعيسى إنه كلمة الله وروح منه؛ لأنه لم يكن له أب تولد منه، وإنما هو ناشئ عن الكلمة التي قال له بها كن فكان والروح التي أرسل بها جبريل"[١].

كما يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ ... إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ ... ﴾ (آل عمران: ٤٥). "أي بولد يكون وجوده بكلمة من الله أي: يقول له كن فيكون، وهذا تفسير قوله: ﴿ ... مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ... ﴾ (آل عمران: ٣٩) كما ذكر الجمهور"[٢].

ويقول ابن جرير: "قال آخرون: بل هي [أي قوله كلمة منه] اسم لعيسى سماه الله بها، كما سمَّى سائر خلقه بما شاء من الأسماء"[٣].

---

(١) المرجع السابق ج (١)، ص (٥٩٠).

(٢) تفسير ابن كثير ج (١)، ص (٣٦٣).

(٣) محمد بن جرير الطبري: "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" دار الفكر (١٤٠٥هـ) ج (٣)، ص (٢٦٩).

ويروي بإسناده عن قتادة أنه قال: "قوله ﴿ ... بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ... ﴾ قال: قوله ﴿ ... كُن ... ﴾ فسماه الله عز وجل كلمته لأنه كان عن كلمته"[1] . وقال أبو عبيد: "كلمته: كن فكان"[2] .

وكلمة الله التي قيلت لعيسى في القرآن وسمي بها هي مضافة إلى الله سبحانه وتعالى. وقد قسم ابن تيمية رحمه الله المضاف إلى الله تعالى إلى قسمين: إضافة صفات وإضافة أعيان "فالصفات إذا أضيفت إليه تعالى كالعلم والقدرة والكلام والحياة والرضا والغضب ونحو ذلك، دلت الإضافة على أنها إضافة وصف له قائم به، ليست مخلوقة؛ لأن الصفة لا تقوم بنفسها ولابد لها من موصوف تقوم به، فإذا أضيفت إليه علم أنها صفة له لكن قد يعبر باسم الصفة عن المفعول بها، فيسمى المقدور قدرة والمخلوق بالكلمة كلاماً والمعلوم علماً والمرحوم به رحمة"[3] . فعيسى عليه السلام ليس هو عين الكلمة وإنما قيل له كلمة الله لأنه خلق بالكلمة، ولم يكن له أب تولد منه، وإنما هو ناشئ ومخلوق عن الكلمة: كن.

ثم إن الإضافة من حيث اللغة "نسبة بين اسمين"[4]. ويشترط فيها أن "لايضاف الاسم إلى مرادفه فلا يقال: ليث أسدٍ"[5] .

---

(١) المرجع السابق ج (٣)، ص (٢٦٩).

(٢) صحيح البخاري ج (٤) كتاب (٥٤) باب (٤٦) حديث (١٠٩) ص (١٣٢).

(٣) ابن تيمية "الجواب الصحيح" ج (٢) ص (١٥٨).

(٤) مصطفى الغلاييني "جامع الدروس العربية" الطبعة الثامنة عشرة (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ج (٣)، ص(٢٠٥).

(٥) المرجع السابق ج (٣)، ص (٢١١).

بينما يزعم النصارى أن عيسى هو الكلمة وأن الكلمة هي الله[1] مما يعني تبعاً لذلك أن اسم عيسى ولفظ الجلالة (الله) اسمان ومسميان مترادفان عند النصارى –والعياذ بالله – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً مما يبطل هذه الإضافة لغة وعقلاً؛ لأنها حينئذ حسب اعتقاد النصارى تصبح مكونة من اسمين مترادفين، ولا تصح هذه الإضافة إلا إذا كانت تدل على اسمين وذاتين يختلف كل منهما عن الأخرى.

ثم من جهة أخرى فإن هذا التركيب المكون من المضاف والمضاف إليه يدل لغة على معنى يختلف عن المقصود بالمضاف إليه وحده فقط، أو بالمضاف فقط، فإذا قلنا: محمد رسول الله ﷺ فإن المراد بالتركيب الإضافي في هذه الجملة –وهو قولنا (رسول الله)– المكون من المضاف (رسول) ومن المضاف إليه لفظ الجلالة (الله) هو رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ الإنسان المخلوق، أما المضاف إليه وحده فإنه لفظ الجلالة اسم الله سبحانه وتعالى، وشتان مابين الرسول المخلوق والمرسِل الخالق سبحانه وتعالى، فالمضاف إليه يدل على مسمى معين والتركيب من المضاف والمضاف إليه يدل على مسمى آخر مختلف كلياً عمايدل عليه المضاف إليه وحده.

وهذا يعني من حيث اللغة أن كلمة الله (المضاف والمضاف إليه) التي قيلت لعيسى والتي هي اسم له عليه السلام ليست هي المضاف إليه هنا وهو لفظ الجلالة (الله) فهذان اسمان يدلان على ذاتين

---

(١) انظر ص (١٦، ١٧).

وقد جاءت "من" لابتداء الغاية في القرآن كثيراً وفي كتبهم أيضاً وعلى نحو لا يصح أن تأتي للتبعيض في مثل قوله: "امتحنوا الأرواح هل هي من الله، نحن من الله، فمن يعرف الله يسمع لنا، ومن ليس من الله لا يسمع لنا، وكل من يحب فقد ولد من الله"[1] .

ولكنهم يحاولون التلبيس على المسلمين لتحقيق أغراضهم ولو كانت حقيقة اعتقاداتهم تناقض دعاواهم وافتراءاتهم على كتاب الله.

أما عن القسم الثاني: وهو ما يتعلق بكون عيسى عليه السلام روحاً من الله أو روح الله:

فإن في ذلك أموراً عدة:

١- ما معنى قوله تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾؟

يقول الإمام أحمد: "وأما قوله تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ يقول من أمره كان الروح فيه كقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ...﴾ (الجاثية: ١٣) يقول من أمره وتفسير روح الله، إنما معناه أنها روح بكلمة الله خلقها كما يقال: عبدالله وسماء الله وأرض الله"[2] .

ويقول ابن جرير: "وأما قوله: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ فإن أهل العلم اختلفوا في تأويله فقال بعضهم: معنى قوله "وروح منه" ونفخة منه؛ لأنه حدث عن نفخة جبريل عليه السلام في درع مريم بأمر الله إياه بذلك، فنسب إلى أنه روح من الله لأنه بأمره كان"[3] .

(١) (١ يوحنا ٤ : ١ - ٧).

(٢) ابن حنبل: "الرد على الجهمية" ص (٤٣).

(٣) تفسير ابن جرير ج (٦)، ص (٣٥، ٣٦).

ويقول ابن كثير في تفسير قوله: ﴿ ... وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ... ﴾ أي: عيسى "إنما هو عبد من عباد الله وخلق من خلقه قال له كن فكان ورسول من رسله وكلمته ألقاها إلى مريم، أي خلقه بالكلمة التي أُرسل بها جبريل عليه السلام إلى مريم فنفخ فيها من روحه بإذن ربه عز وجل، وكانت تلك النفخة التي نفخها في جيب درعها فنزلت حتى ولجت فرجها بمنزلة لقاح الأب الأم والجميع مخلوق لله عز وجل؛ ولهذا قيل لعيسى إنه كلمة الله وروح منه؛ لأنه لم يكن له أب يولد منه وإنما هو ناشئ عن الكلمة التي قال له بها كن فكان والروح التي أرسل بها جبريل"(١) .

٢- أن (مِنْ) في قوله: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ لابتداء الغاية وليست للتبعيض يقول ابن كثير: "وليست من للتبعيض كما تقول النصارى عليهم لعائن الله المتتابعة، بل هي لابتداء الغاية كما في الآية الأخرى ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ... ﴾ (الجاثية: ١٣). وقد قال مجاهد في قوله: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ أي: رسول منه. وقال غيره: ومحبة منه، والأظهر الأول وهو أنه مخلوق من روح مخلوقة وأضيفت الروح إلى الله على وجه التشريف، كما أضيفت الناقة والبيت إلى الله"(٢). ويقول الشنقيطي: "ولكن "مِنْ" هنا لابتداء الغاية يعني أن مبدأ ذلك الروح الذي ولد به عيسى حياً من الله تعالى لأنه هو الذي أحياه به.

(١) تفسير ابن كثير ج (١)، ص (٥٩٠).

(٢) تفسير ابن كثير ج (١)، ص (٥٩٠).

ويدل لما ذكرنا ما روي عن أُبَيّ بن كعب أنه قال: خلق الله أرواح بني آدم لما أخذ عليهم الميثاق، ثم ردها إلى صلب آدم وأمسك عنده روح عيسى عليه السلام، فلما أراد خلقه أرسل ذلك الروح إلى مريم فكان منه عيسى عليه السلام"(١) .

ولو فرض أن (مِنْ) هنا للتبعيض لفسد المعنى نصرانياً كما سبق بيانه في قوله تعالى ﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾ فلو قلنا على سبيل الفرض: وروح بعض منه باعتبار أن الروح هو عيسى عينه لكان المعنى فاسداً من وجوه، منها: أن عيسى يصبح جزءاً وبعضاً من الإله. والبعض ليس مساوياً للكل عقلاً، والنصارى يعتقدون أن المسيح (الابن) بزعمهم إله مساوٍ للأب في الجوهر وليس جزءاً منه، بل يعتقدون أن الكلمة كما مر آنفاً -وهي عيسى- هي الله فعيسى ليس بعضاً من الله سواء كان هو الروح أو هو الكلمة بحسب اعتقادهم. وهذا مبطل لكون (مِنْ) للتبعيض، فضلاً عما مر سابقاً من استخدام (مِنْ) لابتداء الغاية في كتبهم على نحوٍ يمنع من خلال السياق أن تكون للتبعيض وهو ما يماثل ما ههنا.

٣- وعلى كل حال إذا قيل لعيسى عليه السلام: كلمة الله أو كلمة منه أو روح الله أو روح منه فإنه لا يغير من حقيقته البشرية شيئاً لما مر

(١) محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي: "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" طبع على نفقة سمو الأمير أحمد بن عبد العزيز (عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ج (١)، ص (٤٩٤، ٤٩٥).

من الآيات المحكمة القاطعة في القرآن[1] والنصوص الكثيرة في الأناجيل[2] الدالة على أن عيسى عليه السلام بشر مخلوق من تراب تطرأ عليه عوارض الحدوث والتغير من حال إلى حال، بل من حال الضعف في الطفولة إلى حال القوة في الكهولة ثم الموت بعد ذلك -في آخر الزمان- إلى غير ذلك من أمور.

لكن الذين في قلوبهم مرض وزيغ يغمضون أعينهم عما عظم من المتشابه عندهم كتسمية موسى إلهاً بنص التوراة الحالية[3]، ويأخذون من القرآن "بالمتشابه الذي يمكنهم أن يحرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة وينزلوه عليها لاحتمال لفظه لما يصرفونه، فأما المحكم فلا نصيب لهم فيه؛ لأنه دافع لهم وحجة عليهم ولهذا قال الله تعالى: ﴿ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ ﴾ (آل عمران: ٧)، أي الإضلال لأتباعهم إيهاماً لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن، وهو حجة عليهم لا لهم كما لو احتج النصارى بأن القرآن قد نطق بأن عيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وتركوا الاحتجاج بقوله: ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ ... ﴾ (الزخرف: ٥٩) وبقوله: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (آل عمران: ٥٩). وغير ذلك من الآيات المحكمة

---

(١) انظر ص (٣٧).

(٢) انظر ص (٣٩).

(٣) جاء في التوراة الحالية فيما نسب إلى الله مخاطباً موسى أنه قال له: "وأنت تكون له [لهارون] إلهاً" الخروج [٤ : ١٦] وجاء قوله: "أنا جعلتك إلهاً لفرعون وهارون أخوك يكون نبيك" [الخروج (٧ : ١)].

المصرحة بأنه خلق من مخلوقات الله وعبد ورسول من رسل الله[1].

٤ـ أما قوله تعالى: ﴿ رُوحَنَا ﴾ في مثل قوله: ﴿ ... فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا ... ﴾ (مريم: ١٧).

فيقول ابن كثير "يعني جبرائيل عليه السلام"[2]. وكذلك روح القدس في مثل قوله تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ... ﴾ (النحل: ١٠٢). يذكر ابن كثير أنه جبريل[3].

ويقول ابن تيمية: "إن المضاف في الثاني [أي القسم الثاني][4] من أقسام المضاف إلى الله مملوك لله مخلوق له بائن عنه، لكنه مفضل مشرف لما خصَّه الله به من الصفات التي اقتضت إضافته إلى الله تبارك وتعالى، كما خص ناقة صالح من بين النوق، وكما خص بيته بمكة من بين البيوت، وكما خص عباده الصالحين من بين الخلق. ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿ ... فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا ... ﴾ (مريم: ١٧)، فإنه وصف هذا الروح بأنه تمثل لها بشراً سوياً وأنها استعاذت بالله منه إن كان تقياً، وأنه قال: ﴿ ... إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ ... ﴾ (مريم: ١٩). وهذا كله يدل على أنها عين قائمة بنفسها[5]. كما يقول رحمه الله عن الموضوع

---

(١) تفسير ابن كثير ج (١)، ص (٣٤٥).

(٢) المرجع السابق ج (٢)، ص (١١٥).

(٣) تفسير ابن كثير ج (٢)، ص (٥٨٦).

(٤) انظر كلامه على القسم الأول ص (٦٨).

(٥) الجواب الصحيح ج (٢)، ص (١٥٦، ١٥٧).

من الآيات المحكمة القاطعة في القرآن[1] والنصوص الكثيرة في الأناجيل[2] الدالة على أن عيسى عليه السلام بشر مخلوق من تراب تطرأ عليه عوارض الحدوث والتغير من حال إلى حال، بل من حال الضعف في الطفولة إلى حال القوة في الكهولة ثم الموت بعد ذلك -في آخر الزمان- إلى غير ذلك من أمور.

لكن الذين في قلوبهم مرض وزيغ يغمضون أعينهم عما عظم من المتشابه عندهم كتسمية موسى إلهاً بنص التوراة الحالية[3]، ويأخذون من القرآن "بالمتشابه الذي يمكنهم أن يحرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة وينزلوه عليها لاحتمال لفظه لما يصرفونه، فأما المحكم فلا نصيب لهم فيه؛ لأنه دافع لهم وحجة عليهم ولهذا قال الله تعالى: ﴿ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ ﴾ (آل عمران: ٧)، أي الإضلال لأتباعهم إيهاماً لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن، وهو حجة عليهم لا لهم كما لو احتج النصارى بأن القرآن قد نطق بأن عيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وتركوا الاحتجاج بقوله: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ... ﴾ (الزخرف: ٥٩) وبقوله: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (آل عمران: ٥٩). وغير ذلك من الآيات المحكمة

---

(١) انظر ص (٣٧).

(٢) انظر ص (٣٩).

(٣) جاء في التوراة الحالية فيما نسب إلى الله مخاطباً موسى أنه قال له: "وأنت تكون له [لهارون] إلهاً" الخروج [٤ : ١٦] وجاء قوله: "أنا جعلتك إلهاً لفرعون وهارون أخوك يكون نبيك" [الخروج (٧ : ١)].

المصرحة بأنه خلق من مخلوقات الله وعبد ورسول من رسل الله[1].

٤- أما قوله تعالى: ﴿ رُوحَنَا ﴾ في مثل قوله: ﴿ ... فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا ... ﴾ (مريم: ١٧).

فيقول ابن كثير "يعني جبرائيل عليه السلام"[2]. وكذلك روح القدس في مثل قوله تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ... ﴾ (النحل: ١٠٢). يذكر ابن كثير أنه جبريل[3].

ويقول ابن تيمية: "إن المضاف في الثاني [أي القسم الثاني][4] من أقسام المضاف إلى الله مملوك لله مخلوق له بائن عنه، لكنه مفضل مشرف لما خصَّه الله به من الصفات التي اقتضت إضافته إلى الله تبارك وتعالى، كما خص ناقة صالح من بين النوق، وكما خص بيته بمكة من بين البيوت، وكما خص عباده الصالحين من بين الخلق. ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿ ... فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا ... ﴾ (مريم: ١٧)، فإنه وصف هذا الروح بأنه تمثل لها بشراً سوياً وأنها استعاذت بالله منه إن كان تقياً، وأنه قال: ﴿ ... إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ ... ﴾ (مريم: ١٩). وهذا كله يدل على أنها عين قائمة بنفسها[5]. كما يقول رحمه الله عن الموضوع

(١) تفسير ابن كثير ج (١)، ص (٣٤٥).

(٢) المرجع السابق ج (٢)، ص (١١٥).

(٣) تفسير ابن كثير ج (٢)، ص (٥٨٦).

(٤) انظر كلامه على القسم الأول ص (٦٨).

(٥) الجواب الصحيح ج (٢)، ص (١٥٦، ١٥٧).

نفسه: "فأخبر هذا الروح الذي تمثل لها بشراً سوياً أنه رسول ربها، فدل الكلام على أن هذا الروح عين قائمة بنفسها ليست صفة لغيرها وأنه رسول من الله ليس صفة من صفات الله، ولهذا قال جماهير العلماء: إنه جبريل عليه السلام، فإن الله سماه الروح الأمين وسماه روح القدس وسماه جبريل"(١) .

وهذا يوضح أنه ليس لهم أدنى شبهة في هذا؛ إذ المقصود بالروح القدس (وروحنا): جبريل عليه السلام وليس المسيح، بل إن البعض جعل معنى الروح في قوله تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ أيضاً جبريل عليه السلام يقول ابن جرير: "وقال آخرون معنى الروح ههنا: جبريل عليه السلام. قالوا: ومعنى الكلام: وكلمته ألقاها إلى مريم وألقاها أيضاً إليها روح من الله. قالوا: فالروح معطوف به على ما في قوله: "ألقاها" من ذكر الله بمعنى أن إلقاء الكلمة إلى مريم كان من الله ثم من جبريل عليه السلام"(٢) .

٥- الروح أو الروح القدس أو روح الله عند النصارى هو الأقنوم الثالث في ثالوثهم الوثني(٣) وهذا مبطل لادعاء النصارى على القرآن فيما يتعلق بقوله: وروح منه أو روحنا من أساسه؛ لأن القرآن قال عن عيسى عليه السلام إنه روح من الله سبحانه وتعالى أو سمّاه بذلك،

(١) المرجع السابق ج (١)، ص (٢٤٠).

(٢) تفسير ابن جرير ج (٦)، ص (٢٣٦).

(٣) انظر: "القاموس الموجز للكتاب المقدس" ج (١)، ص (٣٠٤، ٣٠٥).

بينما المسيح عند النصارى هو الابن أو "الأقنوم الثاني" بزعمهم وليس هو روح الله؛ لأن روح الله، أو الروح، أو الروح القدس عندهم ليس عيسى عليه السلام وإنما هو الأقنوم الثالث ولكل أقنوم بحسب اعتقاداتهم وظائف وأعمال ومهمات لا يقوم بها الأقنوم الآخر، فجعلهما أقنوماً واحداً لا شك أنه مبطل للتثليث النصراني جملة وتفصيلاً.

وقد جاء في الأناجيل ما يوضح أن عيسى عليه السلام كان يخرج الشياطين بروح الله مما يعني أن عيسى شيء والمقصود بروح الله شيء آخر؛ إذ ينسب إلى عيسى قوله: "ولكن إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله"(١) . وفي نص آخر يقول: "وأما التجديف على الروح فلن يغفر للناس ومن قال كلمة على ابن الإنسان [أي عيسى عليه السلام بزعم النصارى] يغفر له، وأما من قال على الروح القدس فلن يغفر له لا في هذا العالم ولا في الآتي"(٢) وفي نص آخر: "لأن الذي حُبل به فيها هو من الروح القدس"(٣) وفي غيره: "فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء، وإذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه"(٤) .

(١) متى (١٢ : ٢٨).

(٢) متى (١٢ : ١٣ – ٣٢).

(٣) متى (١ : ٢٠).

(٤) متى (٣ : ١٦).

فروح الله أو الروح أو الروح القدس الواردة في النصوص السابقة لا شك أن المقصود بها غير عيسى، والمقصود بذلك عند النصارى الأقنوم الثالث (الروح القدس). والذي هو غير عيسى مما يبطل كل شبههم التي يحاولون من خلالها تأليه عيسى استناداً إلى كتاب الله القرآن العظيم منطلقين من إنزال بعض معتقداتهم الفاسدة على قوله تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ أو ﴿رُوحَنَا﴾ ومخفين بعضاً.

والعجيب أن في الأناجيل ما يدل على أن المقصود بالروح أو الروح القدس أو روح الله إنما هو الملك جبريل عليه السلام، وليس ما افتروه من أقنوم ثالث أو رابع، فإنجيل لوقا يوضح ويشرح النص الآنف الذكر وهو: "لأن الذي حبل به فيها هو من الروح القدس" فيبين لمن يعقل أن هذا الروح القدس إنما هو جبريل عليه السلام حيث يقول في قصة حمل مريم بعيسى: "وفي الشهر السادس أُرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة إلى عذراء..."[1] ويقص قصة حمل مريم عليها السلام بعيسى إلى آخرها.

فالمنصرون والنصارى يكيلون بمكيالين وينظرون بمنظارين، فاعتقاداتهم المعتمدة لديهم تبطل أن يكون الروح أو روح الله أو الروح القدس -وهو الأقنوم الثالث- هو المسيح؛ لأنه عندهم الابن وهو الأقنوم الثاني بزعمهم، لكنهم إذا جاؤوا للقرآن أخفوا معتقداتهم هذه

---

(١) لوقا (١ : ٢٦ - ٣٨).

-تلبيساً على المسلمين- وزعموا أن القرآن يدل على ألوهية عيسى استنتاجاً بزعمهم من أنه قال عنه أو جعله روح الله أو روحاً منه، وهو عين ما ترفضه معتقداتهم -كما مر آنفاً- لأن جمعهما في أقنوم واحد مبطل حسب اعتقاداتهم لأقانيم النصارى وتثليثهم من أصوله، وهو تناقض بيِّن بين ما يدَّعونه على القرآن وما يعتقدونه، فهم يسيرون وفق مبدأ: الغاية تبرر الوسيلة.

المطلب الثالث: الرد على ادعاء المنصرين: أن المعجزات التي أيد الله بها عيسى عليه السلام والتي ذكرت في القرآن ولا سيما إحياء الموتى تدل على ألوهية المسيح عليه السلام:

والمعجزات التي ذكرت في القرآن هي:

١- كلام عيسى عليه السلام في المهد بإذن الله[١].

٢- خلقه من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله[٢].

٣- إبراء الأكمه والأبرص بإذن الله[٣].

٤- إحياء الموتى بإذن الله[٤].

٥- إنباؤه لبني إسرائيل بما يأكلون وما يدَّخرون في بيوتهم بإعلام الله له بذلك[٥].

٦- المائدة التي أنزلها الله -سبحانه وتعالى- على عيسى وحوارييه[٦].

ولإيضاح الرد على المنصرين قسم هذا المطلب إلى الموضوعين التاليين:

---

(١) انظر سورة آل عمران آية (٤٦).

(٢) انظر سورة آل عمران آية (٤٩).

(٣) انظر سورة آل عمران آية (٤٩).

(٤) انظر سورة آل عمران آية (٤٩).

(٥) انظر سورة آل عمران آية (٤٩).

(٦) انظر سورة المائدة آية (١١٢ - ١١٥).

الموضوع الأول: معجزات كمعجزات عيسى وذلك من خلال القرآن.

والموضوع الثاني: معجزات كمعجزات عيسى من خلال التوراة والأناجيل.

أما الموضوع الأول فهو:

معجزات كمعجزات عيسى من خلال القرآن:

فقد مر آنفاً بيان المعجزات التي أيد الله بها عيسى عليه السلام والتي ذكرت في القرآن الكريم. ومعلوم أن بعض هذه المعجزات لم يرد فيها شيء ألبتة في الأناجيل الحالية، ولا يعلم النصارى عنها شيئاً -فيما اطلع عليه الباحث- من خلال الأناجيل إلا ما اطلعوا عليه من خلال القرآن الكريم، وذلك مثل: كلام عيسى في المهد وكهلاً. ومثل: خلقه من الطين كهيئة الطير فيكون طيراً بإذن الله. ومثل: إنبائه لهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم[1]. وإن كان قد ورد أنه أنبأهم ببعض الأمور المستقبلية كتهدم الهيكل مثلاً[2].

وهذا يدل على جهل النصارى بكثير من أحوال عيسى عليه السلام سواء معجزاته -كما مر- أو حياته قبل الثلاثين من عمره أو غير ذلك

(١) انظر: علي الحربي: "نصرانية عيسى عليه السلام ونصرانية بولس"، ص (٢٣، ٢٤).

(٢) انظر ص (٣٣).

حيث "لا نجد ذكراً لعيسى عليه السلام [في الأناجيل] إلا حينما كان طفلاً لا يتجاوز عمره ثمانية أيام -أي حينما ختن- ثم لا تدلك الأناجيل على شيء من حياته عليه السلام حتى يبلغ اثنتي عشرة سنة، فتذكر أنه (لما كانت له اثنتا عشرة سنة صعد إلى أورشليم كعادة العيد) ثم لا تتكلم الأناجيل عن شيء من أحوال عيسى عليه السلام حتى يبلغ الثلاثين من عمره فتذكر أنه بعث آنذاك"(١) كما ذكرت الأناجيل أنه ذهب إلى مصر وهو صبي هو وأمه مع يوسف النجار(٢) -والله أعلم بذلك- إضافة إلى ما زعمت الأناجيل أنه نسب للمسيح عليه السلام ذلك النسب المضطرب اضطراباً كبيراً كما هو معروف(٣). لعل هذا -فيما اطلع عليه الباحث- هو أغلب ما يعرفه النصارى من تاريخ عيسى عليه السلام إلى مبعثه انطلاقاً من الأناجيل الحالية؛ ولذا فإن القرآن الكريم ﴿ ... يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (النمل: ٧٦).

لهذا كله سوف يُقتصر في الرد عليهم من خلال القرآن على أهم المعجزات التي بنى بعض النصارى والمنصرين عليها دعوى ألوهية المسيح عليه السلام، ولا سيما إحياء الموتى والإخبار بالغيب.

---

(١) علي الحربي: "نصرانية عيسى عليه السلام ونصرانية بولس"، ص (٣٣).

(٢) متى (٢ : ١٣ - ١٥).

(٣) انظر متى (١ : ١ - ١٧) ولوقا (٣ : ٢٣ - ٣٨).

وقبل الدخول في هذا الموضوع لابد من بيان ما يأتي:

١- أن هذه المعجزات بإذن الله كما قال جل وعلا على نحو عام: ﴿ ... وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ... ﴾ (الرعد: ٣٨).

وكما قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ (الجن: ٢٦، ٢٧).

وكما قال تعالى على نحو خاص في عيسى عليه السلام: ﴿ ... وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ... ﴾ (المائدة: ١١٠).

وقوله تعالى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ... ﴾ (آل عمران: ٤٩).

فكما هو صريح في هذه الآيات فإن المعجزات المذكورة كلها بإذن الله تعالى، وهي آية لبني إسرائيل ليؤمنوا برسالة عيسى عليه السلام وليتقوا الله ويطيعوه فيما أرسله الله به.

٢- لو انفرد عيسى عليه السلام -على سبيل الفرض- بهذه المعجزات لما كان ذلك دليلاً على ألوهيته؛ لأنه أوتيها بإذن الله تعالى كما مر آنفاً. فكيف وقد شاركه غيره من الرسل والأنبياء في أنواع المعجزات التي أنعم الله بها عليه؟ إضافة إلى من ليس بنبي ولا رسول، وإن من أول ما شورك به إحياء الموتى، بل سوف يقوم بإحياء ميت بإذن الله فتنة للناس وابتلاء لهم إنسان كافر كفراً بواحاً ألا وهو المسيح

الدجال[1]. وهذه الأمور كلها تقطع بأن المعجزات التي جاء بها المسيح عليه السلام ليست دليلاً على الألوهية ألبتة.

وسوف ندرس موضوع إحياء الموتى أولاً ثم الإخبار بالغيب.

أولاً: إحياء الموتى:

ذكر القرآن الكريم معجزات عدة لإحياء الموتى إنعاماً من الله على بعض رسله وإجابة لدعواتهم وتأييداً لهم وتحدياً لأعدائهم من ذلك:

١- أَخْذ إبراهيم عليه السلام للطيور الأربعة بأمر الله له بعد دعائه الله أن يريه كيف يحيى الموتى وتمزيقه لهن وتفريقه لأجزائهن على كل جبل منهن جزءا، ثم دعوته لهن أن يأتينه، فأتينه سعياً، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٠).

فهل حدوث هذه المعجزة على يد إبراهيم عليه السلام الذي هو أب لعيسى -من خلال القرآن ومن خلال الأناجيل- مسوغ لاتخاذ إبراهيم إلهاً؟

---

(١) انظر حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه المتفق عليه الذي يقتل فيه الدجال شاباً ثم يحييه بإذن الله، البخاري كتاب (٨٥) باب (٢٨) حديث (٨٥). ج (٩)، ص (١٠٩) حديث رقم (٥٧)، ومسلم بن الحجاج القشيري: "صحيح مسلم" تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي طبعة دار إحياء التراث العربي كتاب الفتن وأشراط الساعة باب ذكر الدجال ج (٤)، ص (٢٢٥٦) حديث رقم (٢٩٣٨) وحديث النواس بن سمعان عند مسلم ج (٤)، ص (٢٢٥٠ - ٢٢٥٥) حديث رقم (٢٩٣٧).

٢– إلقاء موسى لعصاه الجماد التي لا روح فيها، ثم تحولها إلى ثعبان عظيم عند فرعون والملأ من قومه، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٠٥ قَالَ إِن كُنتَ جِئۡتَ بِـَٔايَةٖ فَأۡتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١٠٦ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ﴾ (الأعراف: ١٠٤ – ١٠٧). وقوله تعالى: ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ﴾ (الأعراف: ١١٧).

فهذه معجزة عظيمة أنعم الله بها على موسى عليه السلام إذ أحيا الله هذه القطعة الصغيرة من الخشب الجماد التي لا حياة فيها، وجعلها حية عظيمة تسعى وتبتلع بفيها ما وضعه السحرة من عصي وحبال ... إلخ.

٣– إحياء الميت الذي قُتل في بني إسرائيل في عهد موسى عليه السلام بإذن الله بعد أمر الله لهم أن يضربوا الميت ببعض البقرة التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في القرآن[١]. يقول تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٧٢ فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ (البقرة: ٧٢، ٧٣).

فهؤلاء الذين ضربوا الميت ببعض لحم البقرة فقام حياً بإذن الله ليسوا من الرسل –على ما يظهر– وعلى الرغم من هذا حدثت على أيديهم هذه المعجزة بإذن الله، فهل كان هذا مدعاة لتأليه أحد منهم؟ أو تأليه موسى عليه السلام؟

---

(١) سورة البقرة الآيات (٦٧ – ٧١).

إن النصارى زعموا أن علة تأليه عيسى عليه السلام هي إحياؤه للموتى[1] ولو فرض أنها علة لتأليه أحد ما من البشر، لكان العقل موجباً أن يؤله كل من اشترك في هذه العلة فقام بمثل هذه المعجزات أو الأمور الخارقة للعادة. وقد شارك عيسى غيره في معجزة الإحياء كما مر آنفاً، مما يبطل ادعاء النصارى في تأليه عيسى عليه السلام لإحيائه الموتى على نحو عام ويبطل نسبة هذا التأليه إلى القرآن على نحو خاص؛ لأن القرآن أوضح أن كل ذلك بإذن الله، وأن هناك من أنعم الله عليه بمثل معجزات عيسى عليه السلام في إحياء الموتى، ولم يجعل ذلك منهم آلهة.

ثانياً: الإخبار بالغيب:

أخبرنا الله سبحانه وتعالى في القرآن العظيم عن بعض من أنعم عليهم باطلاعهم -من لدنه- على بعض الغيوب من ذلك:

أ- ما أنزل على سيد الأولين والآخرين محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه من الغيوب سواء في القرآن الكريم أو السنة الصحيحة، وهو شيء كثير لا يتسع المقام لذكره، مثل الإخبار عن الأقوام السابقين له صلوات الله وسلامه عليه وعن رسلهم وما جرى لهم مع أقوامهم، ومثل الإخبار عن قصة سليمان والهدهد وملكة سبأ، إلى غير ذلك من أمور غيبية ماضية بل وأمور غيبية مستقبلية[2].

---

(١) انظر ص (١٣).

(٢) انظر رحمت الله الهندي "إظهار الحق" ج (٢)، ص (٨١) فما بعد، وعبد العزيز السلمان "من معجزات النبي ﷺ" الطبعة الثانية والعشرون (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) ومحمود مهدي الاستانبولي "إعجاز القرآن العلمي" الطبعة الثانية، مكتبة السوادي للتوزيع، جدة.

ولما كانت الدعوى (دعوى الألوهية وما يرتبط بها) مدعاة من النصارى والمنصرين على القرآن، ولأن بعض أهل الكتاب كما يقول ابن تيمية : يقول "لا نصدق إلا بما في القرآن"[1] ، أي من معجزات الرسول ﷺ[2] فإنه يحسن ذكر بعض ما أنزله الله سبحانه وتعالى على عبده ورسوله ﷺ في القرآن من الأخبار الغيبية ولا سيما بعض ما يرتبط بعيسى عليه السلام وأمه مما انفرد به القرآن الكريم ومن ذلك :

١- أن مريم حملت بعيسى عليه السلام ﴿ ...فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ (مريم : ٢٢ - ٢٥) .

٢- أن عيسى عليه السلام تكلم في المهد و﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ (مريم : ٣٠ - ٣٣) .

٣- أن عيسى عليه السلام خلق من الطين كهيئة الطير فنفخ فيه فصار طيراً بإذن الله[3] .

---

(١) ابن تيمية "الجواب الصحيح" ج (٦)، ص (٦٨) .

(٢) لا شك أن هذا من باب الجدل فقط وعلى زعم محاولة إلزام المسلم من خلال مسلماته، فيما يعتقدون أنه حجة لهم مثل : "معجزات عيسى عليه السلام" أو غيرها .

(٣) انظر ص (٨١) .

٤ – أن عيسى عليه السلام كان ينبئهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم[١].

كل هذه الأخبار الغيبية لا يعلمها حتى النصارى أنفسهم وفق أناجيلهم الحالية، كما مر[٢]. فإنما أنزلها الله على يد عبده ورسوله محمد ﷺ في القرآن.

ب – ما جاء في القرآن من إخبار نبي من أنبياء بني إسرائيل لهم عن آية ملك طالوت عليهم. قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة: ٢٤٨). فهذا نبي من بني إسرائيل يخبرهم عن أمور غيبية مستقبلية لم تحدث بعد آنذاك فما جعل ذلك منه إلهاً.

ج – ما أعطاه الله سبحانه وتعالى للخضر من العلم الغيبي الذي لم يُعطَه رسول من أولي العزم من الرسل وهو موسى صلوات الله وسلامه عليهم، فإن الخضر خرق سفينة المساكين الذين يعملون في البحر حفاظاً عليها؛ لأن الله أعلمه أن وراءهم ملكاً يأخذ كل سفينة غصباً، وقتل الغلام خشية أن يرهق أبويه طغياناً وكفراً، وأقام الجدار الذي كان يريد أن ينقضَّ، إذ كان لغلامين يتيمين في المدينة، وكان تحته كنز لهما، فأراد الله سبحانه وتعالى أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة منه[٣].

---

(١) انظر سورة آل عمران (٤٩).

(٢) انظر ص (٨٢).

(٣) انظر سورة الكهف الآيات (٦٠ – ٨٢).

كل ذلك من الإنباء بالغيب الذي منحه الله تعالى للخضر مما لم أطلع على أن عيسى عليه السلام أعطي مثله لا في القرآن ولا في الأناجيل.

هذا فيما يتعلق بمعجزات مشابهة لمعجزات عيسى عليه السلام من خلال القرآن.

فماذا عن المعجزات المشابهة من خلال التوراة والأناجيل؟ هذا هو الموضوع التالي.

الموضوع الثاني:

معجزات كمعجزات عيسى عليه السلام من خلال التوراة والأناجيل:

إن المعجزات التي أنعم الله بها على عبده ورسوله عيسى عليه السلام تأييداً له وتصديقاً لرسالته ونبوته ليست بدعاً من المعجزات. فقد جاء في التوراة والأناجيل معجزات كمعجزات المسيح عليه السلام ولا سيما إحياء الموتى.

وقبل الخوض في ذكر ذلك لابد من الإشارة إلى أن معجزات المسيح عليه السلام التي وردت في الأناجيل إنما هي -بنص الأناجيل- بإذن الله تعالى يدل على ذلك من الأناجيل ما يلي:

١- قوله: "فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعاً ورفع يسوع عينه إلى فوق وقال أيها الأب أشكرك لأنك سمعت لي، وأنا أعلم أنك في كل حين تسمع لي ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك

أرسلتني. ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم لِعَازَر هلم خارجاً فخرج الميت..."[1] فانظر كيف رفع عيسى بصره إلى السماء ودعا الله ومجَّده، وأوضح النص أن هذه المعجزة إنما هي من أجل أن يُصدقوا به رسولاً من عند الله، وقد استجاب الله دعاءه فخرج الميت حياً بإذن الله.

٢- قوله: "فأجاب يسوع وقال لهم: الحق الحق أقول لكم لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلا ما ينظر الأب"[2] . وينسب إلى عيسى عليه السلام أنه قال: "والآن علموا أن كل ما أعطيتني هو من عندك"[3] . فكل ما أوتيه المسيح عليه السلام من إحياء للموتى، ومن إنباء بالغيب إلى غير ذلك من معجزات إنما هو بنص أقوال المسيح عليه السلام من عند الله وبإذن الله سبحانه وتعالى. وهذا مثبت أنه ليس له من الأمر شيء ومبطل لدعوى ألوهية المسيح من خلال الأناجيل، كما بطلت هذه الدعوى قبل من خلال القرآن.

٣- جاء في نص آخر: "فقالت مرثا ليسوع: يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخي لكن الآن أعلم أن كل ما تطلبه من الله يعطيك إياه[4]" . فهذه المرأة تعلم أن الأمر ليس بيده وإنما إذا دعا الله أعطاه الله سؤله، فإحياء الموتى الذي حدث على يد المسيح إنما هو بإذن الله سبحانه وتعالى.

---

(١) يوحنا (١١ : ٤١ - ٤٣).

(٢) يوحنا (٥ : ١٩).

(٣) يوحنا (١٧ : ٧).

(٤) يوحنا (١١ : ٢١، ٢٢).

٤- وفي نص آخر: "أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال: يسوع الناصري رجل [!] قد تبرهن لكم **من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم تعلمون**"(١) . فالأمر بدهي عند المؤمنين بعيسى آنذاك من بني إسرائيل: أن المعجزات التي جاء بها إنما أوجدها وصنعها الله وليس عيسى عليه السلام، وإنما حصلت على يد عيسى فهي من (قبل الله) أو من عند الله وبإذن الله وأوجدها الله سبحانه وتعالى وما عيسى إلا (رجل) أو عبد من عبيد الله ورسول من رسله، ثبت صدقه بما أنزله الله على يديه من المعجزات (القوات والعجائب).

ولذا على الرغم من إحياء عيسى للموتى بإذن الله، لم يجعل ذلك منه عند الجموع التي قام بالمعجزات في وسطها إلا أنه نبي فقط فلم يتجاوزوا به طور البشرية. جاء في الأناجيل: "فقال [أي عيسى]: أيها الشاب لك أقول قم. فجلس الميت وابتدأ يتكلم، فدفعه إلى أمه فأخذ الجمع خوف، ومجَّدوا الله قائلين: قد قام فينا نبي عظيم وافتقد الله شعبه"(٢).

وفي النص الذي قبل هذا قالوا عن عيسى إنه (رجل تبرهن لكم من قبل الله)، ولم يقولوا: إله، أو ابن إله. وهذا مما يوضح حقيقة عيسى وأنه عند بني إسرائيل الذين أرسل إليهم وآمنوا به، إنما هو رسول نبي وعبد من عباد الله؛ لأن المعجزات التي جاء بها إنما كانت بإذن الله سبحانه وتعالى ومن عنده وليست من عند المسيح ابتداءً.

---

(١) أعمال الرسل (٢ : ٢٢)، وانظر: أعمال الرسل (١٠ : ٣٨).

(٢) لوقا (٧ : ١٤ - ١٦).

وقد جاء في الأناجيل أن عيسى قال للحواريين: "اشفوا مرضى طهروا برصاً أقيموا موتى أخرجوا شياطين مجاناً"[1] . وهذا دليل على أن إحياء الموتى ليس علة ولا مبرراً لتأليه أحد من البشر مما يسقط دعوى النصارى في ألوهية عيسى استناداً إلى إحيائه للموتى. فعلى فرض صحة هذا النص وافتراض تحققه من قبل الحواريين يوضح بجلاء أن إحياءهم للموتى لم ولن يجعل منهم آلهة، وليس هذا مسوغاً لتأليه أحد من البشر. فإن زعم النصارى أن ذلك بسلطة أو بإذن من الله سبحانه وتعالى فإن هذا الكلام هو عين الرد عليهم في حالة إحياء عيسى للموتى إذ أحيا عيسى الموتى بإذن الله، كما أوضحت ذلك آيات القرآن ونصوص الأناجيل الآنفة الذكر.

هذا فيما يتعلق بكون معجزات عيسى عليه السلام بإذن الله سبحانه وتعالى كما تدل عليه الأناجيل، فما المعجزات التي تشبه معجزات عيسى عليه السلام؟

إن من المعجزات التي كمعجزات عيسى من خلال التوراة والأناجيل ما يلي:

أولاً- إحياء الموتى:

جاء في سفر الملوك الأول: "... قال [إيليا]: يارب إليه لترجع نفس هذا الولد إلى جوفه. فسمع الرب لصوت إيليا، فرجعت نفس الولد إلى جوفه فعاش... وقال إيليا [لأم الولد] انظري ابنك حي فقالت

(١) متى (١٠ : ٨).

المرأة لإيليا هذا الوقت: علمت أنك رجل الله، وأن كلام الرب في فمك حق"[1] . فأقصى ما قالته المرأة لإيليا بعد أن أحيا الله على يديه ابنها "إنك رجل الله" أي نبي الله. ولم تغل فيه فتقول له: إنك إله.

كما جاء في التوراة قوله: "ودخل أَليشَع البيت وإذا بالصبي ميت ومضطجع على سريره فدخل وأغلق الباب على نفسيهما كليهما وصلى إلى الرب... فعطس الصبي سبع مرات، ثم فتح الصبي عينيه ... فدعاها [أي أم الصبي] ولما دخلت إليه قال احملي ابنك"[2]. فما اتخذ اليسع إلهاً لذلك الإحياء الذي هو بإذن الله وهو كمعجزات عيسى عليه السلام.

كما جاء فيها قوله: "ومات أَلِيشَع فدفنوه وكان غزاة موآب تدخل على الأرض عند دخول السنة وفيما كانوا يدفنون رجلاً إذا بهم قد رأوا الغزاة فطرحوا الرجل في قبر أَليشع فلما نزل الرجل ومس عظام أليشع عاش وقام على رجليه[3]" فأَليشَع فيما تروي التوراة حتى وهو ميت تحيي عظامه بإذن الله ميتاً.

وجاء عن حزقيال أنه أحيا جيشاً عظيماً جداً جداً بإذن الله كانت عظام أفراده رميماً[4].

---

(١) (١٧ : ٢١ – ٢٤).

(٢) الملوك الثاني (٤ : ٣٢ – ٣٦).

(٣) الملوك الثاني (١٣ : ٢٠ – ٢١).

(٤) حزقيال (٣٧ : ١ – ١٠).

فهؤلاء أحيوا بإذن الله أمواتاً وبعضهم أحيا جيشاً عظيماً من الأموات فلِمَ لم يكونوا آلهة مثل عيسى تدرجاً مع زعم النصارى؟ علماً أن العلة التي ادعاها النصارى والمنصرون لتأليه عيسى هي إحياء الموتى، وهؤلاء اشتركوا مع عيسى عليه السلام في العلة نفسها وقاموا بالأفعال أو المعجزات نفسها؛ مما يوجب على النصارى -عقلاً- الاشتراك مع عيسى في النتيجة نفسها وهي الألوهية، فعدم تأليه النصارى لمن شارك عيسى -عليه السلام- في الفعل والعلة (المقدمة الصغرى والكبرى) مكابرة ومعاندة يرفضها العقل، فهي من باب التفريق بين المتماثلات والمتطابقات؛ لأن تطابق المقدمات مفضٍ لتطابق النتائج.

ومنطقياً كل من شارك عيسى عليه السلام بإحياء الموتى فهو إله كعيسى بجامع إحياء الموتى، وتأليه هؤلاء البشر نتيجة كاذبة يكذبها النصارى قبل غيرهم. ولما كانت النتائج كاذبة والمقدمات (الصغرى) مسلمة -ولا سيما المقبول منها عند المسلمين والنصارى- ثبت عقلاً أن العلة -أو المقدمة الكبرى في قياس الشمول- هي سبب بطلان النتائج وكذبها. وهذا ما تدل عليه آيات القرآن ونصوص التوراة والأناجيل من أن حصول معجزة إحياء الموتى على يد أحد من البشر وإن كان نبياً أو صالحاً ليس دليلاً على ألوهيته، مما يسقط دعوى النصارى في تأليه عيسى لأنه أحيا موتى؛ إذ تبين أن هذا ليس علة للألوهية، حيث قام بهذا الإحياء مَنْ ليس بإله مِن الرسل والأنبياء بإذن الله بل ومن ليس من الأنبياء أو الرسل.

ثم كيف وقد نص القرآن قبل هذا وورد في الأناجيل فيما يختص بعيسى أن معجزاته كانت بإذن الله سبحانه وتعالى[1] خالق عيسى وإلهه وإله الخلق أجمعين، كما مر[2] من الآيات والنصوص الدالة على بشرية عيسى وعبوديته الشيء الكثير. إن هذا كما أنه نافٍ لألوهية عيسى مبين لكذب دعواهم على القرآن أنه قد يلمح إلى ألوهية المسيح، فضلاً عن أن يؤيدها.

ثانياً: الإخبار بالغيب:

من أمثلة ذلك ما جاء في العهد الجديد وهو قول بولس: "والآن أنذركم أن تسيروا لأنه لا تكون خسارة نفس واحدة منكم إلا السفينة لأنه وقف بي هذه الليلة ملاك الإله الذي أنا له والذي أنا أعبده قائلاً: لا تخف يا بولس ينبغي لك أن تقف أمام قيصر، وهو ذا قد وهبك الله جميع المسافرين معك"[3].

وفي العهد القديم أخبر صموئيل شاول أخباراً مستقبلية متعددة مما كان سيمر بها شاول إلى أن ينتهي الأمر بنبوة شاول[4].

(١) انظر ص (٨٤).

(٢) انظر ص (٣٧).

(٣) أعمال الرسل (٢٧ : ٢٢ – ٢٤).

(٤) انظر: صموئيل الأول (١٠ : ١ – ١٠).

والإخبار بالنبوءات المستقبلية من الأنبياء السابقين كثيرة في العهدين القديم والجديد ولا سيما في العهد القديم، وهي من الإخبار بالغيب الذي أذن الله به لمن يشاء من عباده، وإن من أول ذلك البشارة بالرسول ﷺ المبثوثة في كثير من أسفار العهدين. وسواء قصد بهذه البشارات محمد ﷺ كما هو الحق أو عيسى عليه السلام كما يزعمه النصارى فهي إنباء بالغيب من أنبياء ورسل بشر لم يجعلهم ذلك آلهة أو أبناء آلهة باتفاق المسلمين والنصارى، فضلاً عن أن كل ذلك بإذن الله سبحانه وتعالى.

الخاتمة

أولاً: الخلاصة:

الحمد لله أولاً وآخراً والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد:

فعنوان هذا البحث هو: افتراءات المنصرين على القرآن أنه يؤيد زعم ألوهية المسيح عليه السلام، "دراسة نقدية". وهو مكون من مقدمة، وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة.

ففي المقدمة: أوضحت أهمية الموضوع وسبب اختياره والمنهج المتبع وشيئاً من الدراسات السابقة والمصطلحات. أما في التمهيد فقد ألقى الباحث نظرة تاريخية على المؤلفات التنصيرية في الموضوع وأوضح أن بدايات الافتراء من النصارى على كتاب الله في هذا الموضوع بدأت منذ عهد الرسول ﷺ على يد نصارى نجران.

أما في المبحث الأول: فقد استعرض الباحث ادعاءات النصارى التي زعموا أنها تدل على أن القرآن يؤيد زعمهم في ألوهية المسيح وهي: زعمهم أن ضمائر الجمع التي تكلم الله بها عن نفسه في القرآن تدل على ألوهية المسيح، وزعمهم أن القرآن جعل المسيح روحاً من الله وكلمة الله التي تجسدت وصارت إنساناً والمعجزات التي ذكرها القرآن للمسيح ولا سيما إحياء الموتى.

أما المبحث الثاني: فكان رداً على ادعاءات النصارى الآنفة الذكر على نحو مجمل وذلك من خلال دراسة الأمور الآتية: وحدانية الله من خلال القرآن والتوراة والأناجيل، ثم دراسة ما ينفي الألوهية عن المسيح عليه السلام من خلال القرآن والأناجيل، ودراسة بشرية عيسى وعبوديته ونبوته ورسالته أيضاً من خلال القرآن والأناجيل.

أما المبحث الثالث: فكان رداً تفصيلياً على ادعاءات المنصرين التي ذُكرت في المبحث الأول. وكان ذلك في ثلاثة مطالب. ففي المطلب الأول: رُد على زعمهم أن ضمائر الجمع التي أسندت إلى الله في القرآن تؤيد ألوهية المسيح وذلك من ناحية لغوية. أما في المطلب الثاني: فقد رُد عليهم فيما ادعوه من أن القرآن جعل المسيح روحاً من الله أو كلمة من الله على المعاني النصرانية التي حاولوا إنزالها على آي القرآن الكريم. وفي المطلب الثالث: رُد على ادعائهم أن المعجزات التي أنعم الله بها على المسيح ولا سيما إحياء الموتى تدل على ألوهية المسيح.

وأخيراً الخاتمة وفيها خلاصة موجزة وبعض النتائج والتوصيات.

ثانياً: النتائج والتوصيات:

مما توصل إليه الباحث من نتائج وتوصيات ما يأتي:

أ-النتائج:

١- أن المنصرين يَدَعُون المحكم الواضح من آي القرآن ويأخذون بما قد يكون متشابهاً ليصرفوه إلى ما يوافق معتقداتهم الباطلة، وإن كان في حقيقته لايدل على ما يَدَّعون.

٢- سَعْيُ المنصرين والنصارى لتضليل المسلمين والهجوم عليهم من خلال مسلماتهم، ولا سيما القرآن الكريم، وذلك منذ أيام الإسلام الأولى إلى اليوم.

٣- عدم ارتداع النصارى عن ادعاء دعاوٍ على القرآن وإن كانت كاذبة أو مما تخالف معتقداتهم -في حقيقتها- ما دامت تخدم غاياتهم وأهدافهم.

٤- خطورة منهج المنصرين في محاولة إثبات بعض معتقداتهم الباطلة من خلال القرآن؛ مما يحتاج إلى مواجهة تتناسب مع ذلك.

٥- بطلان ما افتراه المنصرون على القرآن وكذبه من أن القرآن يؤيد زعم ألوهية المسيح، بل ثبوت بشريته وعبوديته ورسالته وعدم ألوهيته سواء من القرآن أو الأناجيل.

ب- التوصيات:

١- يوصي الباحث بالاهتمام بمنهج المنصرين في محاولة التهجم على القرآن من خلال آياته، وذلك بمواجهة هذا الأسلوب بحثياً وعلمياً وكشف زيف دعاوى المنصرين، وتوعية المسلمين بذلك، وترجمة ما يصلح من الدراسات في هذا الجانب إلى لغات المسلمين، ولا سيما الذين تشتد بينهم الهجمات التنصيرية الفكرية المرتبطة بهذا الموضوع.

٢- يوصي الباحث أن تُضَمَّن كتب تفسير القرآن ولاسيما المختصرة والمترجمة إلى لغات المسلمين مايغرس في ذهن القارئ ابتداءً الجواب على الشُّبه التي يزعمها النصارى على القرآن وعلى نحو غير مباشر مع عدم ذكر الشبهة.

٣- يوصي الباحث بدراسة موضوعات تنصيرية أخرى تحاول التهجم على القرآن مدعية أنه يؤيد معتقداتهم مثل محاولة إثبات أن القرآن يبين صحة كتبهم الحالية، وعدم تحريفها ولعل هذا من أخطر موضوعاتهم المعاصرة في هذا الجانب فيما أرى، وادعاء أن القرآن مقتبس من التوراة، وزعم أن القرآن يقول بصلب المسيح، وادعاء أن في القرآن أخطاء لغوية، أو تاريخية إلى غير ذلك من افتراءات وأباطيل على القرآن الكريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : كتب العهدين .

ثالثاً : كتب عامة .

١- "أدلة اليقين في الرد على كتاب ميزان الحق وغيره من مطاعن المبشرين المسيحيين في الإسلام" : عبدالرحمن الجزيري . (الطبعة الأولى ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م) .

٢- "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" : محمد الأمين بن محمد المختار . (طبع على نفقة سمو الأمير أحمد بن عبدالعزيز عام ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م) .

٣- "إظهار الحق" : رحمت الله بن خليل الهندي . (تحقيق عمر الدسوقي) . (المكتبة العصرية في بيروت) .

٤- "إعجاز القرآن العلمي" : محمود مهدي الإستانبولي . (الطبعة الثانية مكتبة السوادي للتوزيع ـ جدة) .

٥- "الإنجيل والصليب" : عبدالأحد داود . (تعريب مسلم عراقي) (القاهرة، ١٣٥٠هـ) .

٦- "بماذا يؤمن المسيحيون" : جورجيا هاركنس، ترجمة إسحاق مسعد القاهرة . (دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية) .

٧- "تأويل مشكل القرآن" : عبدالله بن مسلم بن قتيبة. شرح ونشر السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية. المدينة المنورة (الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

٨- "تفسير إنجيل متى" : مجموعة من أشهر مفسري الكتاب المقدس: (مكتبة النيل المسيحية).

٩- "تفسير القرآن العظيم" : إسماعيل بن كثير القرشي. (دار المعرفة -بيروت- لبنان ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

١٠- "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" : عبدالرحمن ابن ناصر السعدي. (مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

١١- "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" : محمد بن جرير الطبري. (دار الفكر - ١٤٠٥هـ).

١٢- "جامع الدروس العربية" : مصطفى الغلاييني. (الطبعة الثامنة عشرة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

١٣- "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" : أحمد بن عبدالحليم ابن عبدالسلام ابن تيمية. تحقيق وتعليق د.علي بن حسين ناصر ود.عبدالعزيز العسكر ود.حمدان الحمدان. الطبعة الثانية (١٤١٩هـ/١٩٩٩م).

١٤- "ديوان امرئ القيس" : دار بيروت للطباعة والنشر (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م).

١٥- "الرد على الجهمية والزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتأولوهُ على غير تأويله" : أحمد بن محمد بن حنبل. قام بتصحيحه والتعليق عليه: إسماعيل الأنصاري، نشر وتوزيع: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.

١٦- "رسالة راهب فرنسا للمسلمين وجواب القاضي أبي الوليد الباجي عليها" : دراسة وتحقيق: د. محمد عبدالله الشرقاوي. طبع ونشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.

١٧- "رسالة عبدالله بن إسماعيل الهاشمي إلى عبدالمسيح بن إسحاق الكندي يدعوه إلى الإسلام ورسالة عبدالمسيح إلى الهاشمي يرد بها عليه ويدعوه إلى النصرانية" . طبع في مصر عام (١٩٨٥م).

١٨- "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني" : محمود الألوسي. (إدارة الطباعة المنيرية).

١٩- "السيرة النبوية" : عبدالملك بن هشام الحميري. (تحقيق مصطفى السقا وآخرين مؤسسة علوم القرآن).

٢٠- "شرح المعلقات العشر" : الحسين بن أحمد الزوزني. (طبعة عام ١٩٨٣م) دار مكتبة الحياة. بيروت.

٢١- "الصاحبي" : أحمد بن فارس. (تحقيق السيد أحمد صقر) (مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه).

٢٢- "صحيح أبي عبدالله البخاري" : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري.تحقيق وتعليق: محمد النواوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ومحمد خفاجي. ثلاثة مجلدات، تسعة أجزاء. الطبعة الثانية (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م). الناشران: مكتبة النهضة الحديثة -مكة، ومكتبة الرياض الحديثة- الرياض.

٢٣- "العقائد الوثنية في الديانة النصرانية" : محمد طاهر التنير، بيروت، عام ١٣٣٠هـ.

٢٤- "فتح الباري بشرح صحيح البخاري" : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني تحقيق الشيخ عبدالعزيز بن باز وآخرين دار المعرفة، بيروت.

٢٥- "القاموس الموجز للكتاب المقدس" : حنا الله جرجس ووهيب مالك طبع في مكتبة كنيسة الأخوة، مصر، عام ١٩٨٣م.

٢٦- "القرآن والمبشرون" الطبعة الثانية: محمد عزة دروزة (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م).

٢٧- "المسيحية" أحمد شلبي ط (٧) القاهرة مكتبة النهضة المصرية (١٩٨٣م).

٢٨- "معالم حضارات الشرق الأدنى القديم" محمد عصفور ، لبنان دار النهضة ١٩٨١م.

٢٩- "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب" : عبد الله بن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي.

٣٠- "المفضليات" : المفضل بن محمد الضبي : تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون، الطبعة السابعة، دار المعارف، مصر.

٣١- "من معجزات النبي ﷺ" : عبدالعزيز السلمان، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٣٢- "النحو الوافي" : عباس حسن، الطبعة الخامسة، دار المعارف بمصر.

٣٣- "نزول عيسى بن مريم آخر الزمان" : جلال الدين السيوطي : دراسة وتحقيق محمد عبدالقادر عطا. ط (١) دار الكتب العلمية ببيروت.

٣٤- "نصرانية عيسى عليه السلام ونصرانية بولس" : دراسة مقارنة من خلال أسفار العهد الجديد : علي عتيق الحربي بحث ماجستير عام ١٤٠٧هـ.

الفهرس